T
73A

التربيـــة عنـد ابـن خلـــدون

نهـى عـارف الحســن

رســالة رفعت الـى دائـرة التربيـــة
في الجامعة الاميركية فـي بيروت
لاســتكمال المتطلبـــات لنيـــل درجة
اســـتاذ علـــوم

الجامعـــة الاميـركيـــة فـي بيـــروت
حـزيـــران ١٩٥٩

التربيـــة عنـد ابـن خلـــدون

الاهـــداء

الـى مـن لا يمكننـي ان افيهمـــا حقهمـــا مهمـــا جاهـدت ... الـى مـن اســبغا علـي نعمـة الحيـاة ، واعجـزعـن ان ارد لهمـــا خيـر صنيعهمـــا ، اتقـدم متواضعـــة باهـداء عصـارة نفســـي وقلمـي ،

الـــى امـــي وابـــي .

كلمـــة شـــكر

اتقـدم بالشـــكر الوافـر والاحتـرام الجزيـل الى جميـــع اسـاتذتـي واخصهـم من سـاهم مسـاهمـة فعالـة في ارشـادى وانـارة طريقـي لوضـع هذه الرسـالـة موضـع التنفيـذ • واراني عاجـزة عن ان افيهـم كامـل ما يسـتحقـون ، ولكـن لا يمكننـي الا ان اتوقـف لاشـــكر حضـرات الاسـاتذة الكـرام : المربيـة الفاضلـة السـيدة فائـزة انتيبـــا التي كان لـي الفخـر والغبطـة بان تكـون المرشـدة التي انـارت امـامـي السـبيل بتوجيهـها الصحيـح • والاسـاتذة الكـرام اعضـاء اللجنـة المشرفـة الاسـتاذ محمـد توفيـق حسـين والدكتـور حسـن صعـب والدكتـور نعيـم عطيـة الذيـن لـم يألـوا جهـدا بتقديـم المسـاعدة الفعـالـة في سـبيـل وضـع هذه الرســالـة •

ولا بـد لـي من توجيـه خالـص شـكرى وامتنـاني الى حضـرة الدكتـور محمـد يوسـف نجـم الذى اوحى الـي باختيـار هذا الموضـوع فضلا عن مسـاعداتـه وتوجيهاتـه القيمـة •

ملخص الرسالة

عاش ابن خلدون في القرن الرابع عشر ، القرن الذى يمثل دور احتضار المدنية العباسية الفرسية ، وانتقال السيادة الزمنية من ايدى الاعاجم الغرباء الى ايدى الاتراك الدخلاء • ولذلك كان منتصف هذا القرن مزعزعا بالثورات والانقلابات وتتابع الدولات •

الا ان عصر ابن خلدون العلمي امتاز بكثرة الكتب الجامعة لاشتات من العلوم والثقافة • ولمعت في ذلك العصر اسماء كثير من العلماء والمؤلفين • وقد كان العالم العربي يتمتع بوحدة ادبية وثقافية واضحة المعالم ، على الرغم من تفككه السياسي •

ولد ابن خلدون في تونس سنة ١٣٣٢ م وتوفي سنة ١٤٠٦ • وقد قضى ايام صباه بين ايدى والده ودرس عليه القرآن • ثم تابع دراسته على ايدى كبار علماء عصره • لقد كان نشاطه عديد الجوانب : شمل ميادين الادارة والسياسة ، الخطابة والقضاء

والدرس والبحث والتدريس والتاليف • دخل غمار الحياة العامة قبل ان يبلغ العشرين من عمره ، وقام بمهمة سياسية خطيرة ، بعد ما وصل الى عتبة السبعين ايضا • وبين وظيفته الاولى ومهمته الاخيرة ، تولى كتابة السر ، وخطة المظالم ، وصار وزيرا ، وحاجبا ، وسفيرا ، ومدرسا ، وقاضيا وخطيبا ، كل ذلك بين سلسة من الحوادث والمشاكل ، وبين ضروب من المنافسات والمخاصمات •

اهتم ابن خلدون بالعلوم على اختلاف انواعها وافرد لها فصولا عديدة في "المقدمة" ، وتعتبر هذه العلوم تاريخا كاملا للعلوم والآداب عند العرب منذ بدء الاسلام حتى القرن الثامن • لقد قسم العلوم الى قسمين اساسيين وهما العلوم العقلية والعلوم النقلية وتحت كل قسم فروعه من العلوم • وقد رتب ابن خلدون العلوم حسب اهميتها للمتعلم وقسمها الى اربعة اقسام ووضع كل قسم منها في مرتبة مناسبة لضرورته واسبقيته على غيره • اما هذه الاقسام فهي : العلوم الشرعية بانواعها ثم العلوم الفلسفية كالطبيعيات والالهيات ، والعلوم الالية المساعدة لعلوم الدين كاللغة والنحو وغيرها ، ثم العلوم الآلية المساعدة للعلوم الفلسفية •

لقد تغيرت المراحل التعليمية عند المسلمين مع تطور الحضارة الاسلامية ، واختلاف العصور وتقدم الدول وتاخرها • كان التعليم مرحلة تبتدئ بالكتاب او بالمعلمين الخاصين وتنتهي بان تكون حلقة بالمسجد • ثم تطور التعليم من حلقات المساجد ، الى مدارس منظمة • واما عن مناهج واساليب التعليم فقد اختلفت اختلافا بسيطا بين مكان واخر الا ان العلوم الدينية كان لها المكان الاهم • ولقد نشات المدارس والجامعات كما قلنا سابقا وكانت اهم هذه الجامعات

جامعة الازهر ، والمدرسة النظامية ، والمدرسة المستنصرية .

لم يتكلم ابن خلدون في مقدمته عن الفلسفة مباشرة ، الا اننا استطعنا ان نستلخص هذه الامور من خلال نظراته الى المجتمع والى الغيبيات والكون والله ، ونظرته الى المعرفة والقيم .

لقد اعتقد ابن خلدون انه ليس من مجتمع ما الا وان يتاثر بثلاث عوامل وهي عامل التربية وعامل المناخ . فهو عندما يذكر هذه الاشياء يقول ان الاجسام والنفوس البشرية تتاثر كثيرا بهذه العوامل ولذلك نرى ان الامم التي تعيش في المناطق المعتدلة تختلف عن تلك التي تعيش في المناطق الحارة من ناحية اخلاقهم ومرافق حياتهم . والعامل الثالث المؤثر في المجتمع هو العامل الديني اذ انه ضرورى لبناء مجتمع قوى متين .

الى جانب هذه العوامل يرى ابن خلدون ان هناك ثلاث مبادىء اساسية للمجتمع وهي : ضرورة الاجتماع للبشر وضرورة وجود وازع وعدم ضرورة وجود الشرع في المجتمع . فالاجتماع البشرى ضرورى ولا بد منه للتعاون على كسب العيش وجمع القوت ولدفع العدوان . واذا ما تم الاجتماع البشرى لا بد من وازع يزع بعضهم عن بعض ويمنع التحاسد والتنافس . اما فيما يتعلق بالدين فانه يعتقد بان المجتمع لا بد له من ان يتاثر بدين من الاديان كما وانه ضرورى لبناء مجتمع يجمع بين منافع الدين ومنافع الدنيا . واعتبر ابن خلدون ان وجود الدين في المجتمع يهذب الاخلاق ويبعث روح التعاون والتعاضد في الامة وبذلك تتزايد قوتهم ويستطعون التكتل والتغلب على اعدائهم . وللعصبية اهمية في المجتمع كالدين ذلك

انهـا اسـاس الملـك فقـوة العصبيـة من حيث جمـع شـمل الامـة مماثلـة لقـوة الديـن ويجب ان يتوفـر الاثنـان معـا ٠

الـى جانب هذا وذاك يـرى ابـن خلـدون ان المجتمـع ينمـو ويتطـور كمـا يتطـور الانسـان ولكنـه عندمـا يبلـغ الطـور الاخيـر وهو الاضمحلال لا ينتهـي تمامـا كالانسـان انما يعـود فينشـاء من جـديـد ٠

هـذه نظـرة ابـن خلـدون الـى المجتمـع ، واما عن نظـرتـه الـى المعرفـة فقـد عـد مذهبـه وضعيـا لانـه يؤسـس العلـم على المشاهدة المحسـوسـة والفكـر ٠ وقـد انتقـد نطـاق العقـل البشـرى وطريقتـه فـي اكتسـاب العلـوم ٠ فالتوجـه نحـو التعقـل يكـون بقـوة الفكـر وهي القـوة التـي تنشـاء العلـوم عنهـا فتجـرد المعانـي الكليـة من الجزئيـات المحسوسة وتركيبهـا على قوانيـن محصـورة وترتيـب خاص ٠ والنفـوس البشـرية او بالاحـرى اكثـرها عاجـزة بالطبـع عن الوصـول الى الادراك الروحانـي لاتصالهـا بالمدارك الحسـية التي تنشـاء عنهـا العلـوم ٠

واما عن نظـرته الى الغيبيـات فهـو يعتقـد ان في النفـس الانسـانية اسـتعدادا للانفصـال من البشـرية الملكيـة ٠ فيقسـم النفـوس البشـرية الـى ثـلاثـة اصنـاف : العاجـز عن الوصـول الى الادراك الروحانـي وهو الادراك البشـرى ، والمتوجـه بتلك الحركـة الفكريـة نحـو العقـل الروحانـي ويتعمـق في الاشـياء الباطنيـة وهذه هـي مـدارك الاوليـاء ، والصنف الثـالـث مغطـور على الانسـلاخ من البشـرية الى طـور الملائكـة وهؤلاء هـم الاوليـاء ٠ يؤمـن ابـن خلـدون بتطـور الكـون كما انـه يؤمـن بوجـود اللـه ويعتـرف بقدرتـه وقـوتـه ٠

امـا عن نظـرة ابـن خلـدون الـى القيـم فهـو يعتبـر ان الخـلال الحميـدة من اهـم الصفـات التي يجب ان يتحلـى بها الانسـان وهي

اساس الملك اذ ينتج عنها حب الخير ومراعاة مصالح الامة وبناؤها .

هذه هي نظرات ابن خلدون الفلسفية المختلفة التي استخلصنا من فلسفته التربوية والنقاط الاساسية التالية فيما يتعلق بالتربية وشؤونها : -

١. ان المبادىء الاساسية التي يستند اليها ابن خلدون في تقرير قواعد العلم ، والملاحظات الجوهرية التي يبني عليها القواعد المذكورة هي : -

أ - ان الاستعدادات لقبول العلم تتشاء تدريجيا .
ب - ان المتعلم اذا حصل على ملكة ما في علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقي .
جـ - ان الملكات انما تحصل بتتابع الفعل وتكرره .
د - ان تقسيم البال بين مسالتين مختلفتين يصعب الفهم .

٢. القواعد الاساسية

أ - التدرج مع التكرار والتوسع المتمركز .
ب - على المعلم ان لا يخلط مباحث الكتاب الواحد باخر .
جـ - عليه ان لا يطيل الفواصل بين الدرس والدرس .

٣. ان الشدة في استعمال القصاص مضرة بالمتعلم .

٤. الرحلة في طلب العلم مزيد كمال في التعلم .

هذه هي باختصار النقاط الاساسية التي دار حولها هذا البحث ولا شك في ان من يقراء الرسالة بكاملها تظهر له الامور اشمل واوضح .

تـو طئـــة

ان يقظـة الشـعوب العربيـة والحاحهـا في طلـب العلـم وبنـاء نهضـة تربـويـة صحيحـة اصبحـت حقيقـة بـارزة في العالـم العـربي اليـوم • ومـع ان الامكانـات في البـلاد العربيـة لتأميـن تطـور هذا الشـعب وبنـاء هـذه النهضـة بات امـرا بديهيـا ، فاننـا نلاحظ ان الشـعوب العـربيـة بحاجـة الى اشـياء اسـاسـية لا يمكنهـا اغفـالهـا • فافتقـار الشـعب الـى الالـمام بماضيـه وبالاسـس الحضاريـة لامتـه العربيـة هـو من اهـم هذه الاشياء الاسـاسـية • ولا بـد للطالب المفكـر والباحـث حين يـدرس ويطلع على التربيـة وتاريخهـا وتطـورها في مختلـف بـلدان العالـم الا ان يلاحـظ ان كل ما يتعلمه هـو مزيـج من آراء ونظـريات مسـتقاة في الغالـب ، من الحضارة الغربيـة • ولا بـد لـه آنـذاك من ان يتسـاءل ملتفتـا الى تـاريخ امتـه يبحـث فـي آفاقهـا عمـا محتـه السـنون وطوتـه الايـام من آلاراء والافكـار القيمـة • ونحـن لـو رجعنـا مـدة من الـزمـن الى الـوراء وتطلعنـا الى مـا خلفـه لنـا التـراث الحضـارى العربـي ، لبسـطت امامنـا مجالات واسـعة في شـتى الحقـول والابحـاث المختلفـة • ولوجدنـا ان كثيـرا من الآراء والافكـار التـي بيـن ايدينـا انما هـي منبثقـة من صميـم هذا التـراث الحضـارى • ذلـك ان كثيـرا من فلاسـفة العـرب ومفكريهـم قد سـبقوا بتفكيـرهم الادبـاء والفلاسفة الاجانب بقـرون غيـر قليلـة • والى جانب هذا فـان كثيـرا من هؤلاء الغربيين اسـتقوا معلومـاتهم وابحاثهـم من خلال الآراء والنظريـات التي ابتـدعهـا واخرجهـا كبـار المفكـرين العـرب والمسـلمين • ومـن بيـن هؤلاء المفكـريـن

والفلاسفة العلامة ابن خلدون الذى جاء في اواخر عصر الحضارة العربية فاستوعب ، بذهنه الذكي ، خلاصة ذلك التراث كله • ففلسف التاريخ واصل علم الاجتماع ، فكان علما مرموقا في التفكير العالمي المبتدع •

ولئن تفاخر الغربيون بافذاذ مبتكريهم وملاوءا المكاتب بنتائج شتى الابحاث في حياتهم ، وعظموهم بتلقيبهم ابا لهذا العلم او ذاك ، فقد حق للشرقي العربي ان يجل ابن خلدون وان يفاخر به وهو بالحقيقة واحد من اولئك الذين يمكن ان يتصف براس الدراسات الاجتماعية والادبية • ان ابن خلدون لم يبق مفكرا عربيا فحسب ، وانما اصبح تراثه جزءا من التراث الانساني العام •

وقد رايت ان اقوم بدوري الى جانب الذين بحثوا في ما كتبه ابن خلدون وهم كثيرون • واخترت ناحية التربية عنده • وهذا لا يعني ان احدا لم يتطرق الى هذه الناحية ، لكنني اعتقد بان الاصالة في الدراسات لا تتاتى من جدة الموضوع وحده ، بل تتولد من صحة الطريقة وعلمية الاتجاه • وان الكتب والمقالات والدراسات التي نشرت بالعربية عن ابن خلدون ، كما قال الاستاذ ساطع الحصري ، وهو احد الذين قاموا بدراسات وافية مستفيضة عن هذا العلامة ، قد ظلت بعيدة عن استيفاء حاجة البحث من نواحيه المختلفة •

وقد اردت خوض هذه الناحية بالذات بصفتي احدى طالبات التربية والباحثات في شوءونها ، علني اقوم بتادية قسط ولو يسير من واجبي نحو هذا الفيلسوف والعبقري الكبير • وانني اوءمن حق الايمان بان الوقت قد حان ونحن في هذه النهضة العربية ان ننتحي ، نحن الطلاب والباحثين في شوءون التربية وغيرها في بحثنا ، ناحية عربية

حتى نتمكن من احياء التراث العربي الفكرى ورفعه ،لان النهضات الحقيقية لا يمكنها ان تغفل الماضي عند البحث في فلسفة تربوية لامة من الامم ٠

لقد تناولت في بحثي هذا الموضوع النواحي التالية :

في الفصل الاول تحدثت عن عصر ابن خلدون السياسي والعلمي لانه لا يمكن دراسة اى ناحية من نواحي ابن خلدون دون دراسة البيئة والعصر الذى عاش فيه ٠ لان البيئة كانت ولا تزال من العوامل المهمة في تكوين الشخصية الانسانية ٠

وتناولت ايضا حياة ابن خلدون بصورة عامة ، فتحدثت عن دوره في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية ، كما اشرت الى العوامل التي اثرت في تكوين عبقريته العلمية ٠ وتناولت العلوم واقسامها عند ابن خلدون ذلك لانه افرد لها فصولا عديدة في مقدمته ولانها تعتبر تاريخا كاملا للعلوم عند العرب لاهميتها وحسن تنسيقها وشرحها في المقدمة ٠ وتناولت في فصل تال تاريخ التربية الاسلامية فتحدثت عن نشاءة التعليم وتطوره ، وعن مراحل التعليم واهدافه ،ونشاءة المدارس والجامعات في معظم الاقطار العربية وفي الاندلس خاصته ، البلد الذى قضى ابن خلدون شطرا مهما من حياته ٠ وغايتي من ذلك ان اظهر النواحي التربوية التعليمية وتطورها في العالم العربي تمهيدا لدراسة آراء ابن خلدون التربوية التي ولا بد قد تاثرت بتلك الفترة وبالعلوم التي انتشرت في عهد كتابة المقدمة وما سبقها ٠

وفي الفصل الرابع والاخير وهو الفصل المعنى به تحدثت عن فلسفة ابن خلدون التربوية ٠ وتناولت نظراته المختلفة التي اثرت في آرائه في التربية واهدافها ٠ فتحدثت عن نظرة ابن خلدون

الى المجتمع ومبادئه والعوامل المؤثرة فيه ، ثم عن نشوئه وتطوره وتفاعل الفرد في البيئة ومؤثراتها • ثم انتقلت الى التحدث عن نظرته في الغيبيات فتناولت الامور التي ما رواء الحس والكون والله • ثم نظرته الى المعرفة وكيفية استيعاب العلم والعقل وحدوده ، واخيرا نظرته الى القيم الاخلاقية وتاثيرها في تسيير الحياة وبناء المجتمع • واستخلصت من تلك النظرات اهدافه التربوية • وفي القسم الاخير من هذا الفصل تحدثت عن الطرق التعليمية المختلفة التي اتبعت في عصره ، ثم عن الطرق التعليمية والمبادئ الاساسية التي تحدث عنها ابن خلدون في التربية ، ثم عن استعمال الشدة في التعليم والرحلة في طلب العلم • وانهيت بحثي في اعطاء نقاط اساسية هامة عن التربية عند ابن خلدون كانت بمثابة كلمة ختامية موجزة عن البحث •

وقد سلكت الطريقة العلمية في تناول الموضوع • فاعتمدت بالدرجة الاولى على "المقدمة" ، وجمعت ما ورد فيها عن الموضوع الواحد في اماكن متفرقة • ثم اعتمدت على كتب ابن خلدون الاخرى ، وما كتبه عنه الباحثون من عرب وغير عرب • وقد قارنت بين آرائه وآراء بعض المربين الغربيين حيث رايت المجال ملائما •

واحب ان اشير هنا انني اعتمدت على طبعتين للمقدمة طبعة بولاق وطبعة دار الكتاب اللبناني وهي الجزء الاول من تاريخ العبر وديوان المبتداء والخبر •

آمله ان اكون قد وفيت هذا البحث حقه وارجو ان يكون فاتحة لبحوث عربية اخرى والله ولي التوفيق •

الفهـرســـت

	صفحـــة
اهـــداء	أ
كلمـــة شـــكر	ب
ملخـص الرســـالـة	ت - خ
توطئـــة	د - ز
الفهـرســـت	س - ط
الفصـــل الاولـــــ	١ - ١٠
عصـر ابـن خلـــدون	
أ - الحالـة السـياســية	١
ب - عصـر ابـن خلـــدون	٤
جـ - حيـاة ابـن خلـــدون	٧
الفصـــل الثـانـــي	١١ - ٣٣
العلـــوم وابـن خلـــدون	
أ - العلـــوم واقســـامهـا	١١
- علـوم القـرآن من التفسـير والقـراءات	١٢
- علـوم الحـديـــث	١٤
- علـــم الفقـــه والفـرائـض	١٤

صفحـــة

- علـم التصـــوف ١٥
- علـم الكـــلام ١٦
- علـم تعبيـــر الـرؤيـا ١٦
٢ - العلـوم العقـليـــــة ١٨
- العلـوم العـدديـــة ١٨
- العلـوم الهندســـيـة ١٩
- علـم الهيئـــة ١٩
- علـم المنطـــق ٢٠
- الطبيعيـــات ٢١
- علـم الطـــب ٢١
- الفـلاحـــــة ٢٢
- علـم الالهيـــات ٢٣
- علـوم السـحر والطلســمات ٢٤
- علـم الكيميـــاء ٢٦
- علـوم اللســـان العـربـــي ٢٧
٣ - ترتيـب العـلـــوم حسـب اهميتهـــا ٣٠

الفصـــل الثـالـــث ٣٤ - ٥٤
لمحـــة عن تـاريـخ التربيـة الاســـلاميـــة
أ - نشـاءة التعليـم في الاســـلام ٣٥
١ - مراحـل التعليـم عنـد المســلمين ٣٦
٢ - ســـن التعليـــم ٣٦
٣ - تصويـــر حالـة التعليـم ٣٧
٤ - مناهـج واسـاليب المســلمين في التعليم ٣٨

صفحـــة

٥ ـ تكافـؤ الفـرص في التعليـم ٣٩
٦ ـ توجيـه التلاميـذ على حسب مواهبهـم ٤٠

ب ـ المؤسـسات التعليميـــة ٤١

١ ـ نشـــؤ الجامعـــات ٤٢

ج ـ العلـم والحركـة المدرسـية في الاندلـس ٤٨

د ـ امـور المدارس واحـوال التعليـم في عهـد
كتابـة المقدمـة كما عرضهـا ابـن خلـدون ٥٠

الفصـــل الرابـــع ٥٥ ـ ١١٣
فلســـفة ابـن خلـدون التربـويـــة

أ ـ نظـرة ابـن خلـدون الى المجتمـع ٥٦

١ ـ العوامـل المؤثـرة في المجتمـع ٥٦
٢ ـ مبـادىء المجتمـع ٥٨
٣ ـ طبيعـة الفـرد ٦١
٤ ـ المجتمـع كائـن حـي ٦٢
٥ ـ الدولـة والديـــن ٦٤
٦ ـ الديـــن والنبـــوة ٦٨
٧ ـ الديـــن كمربـــي ٧١

ب ـ نظـرة ابـن خلـدون الـى الغيبـيات ٧٦

١ ـ الاطلاع على مـا وراء الحـــس ٧٦
٢ ـ الكـــون ٧٧

صفحـــة

٣ - اللـــه	٧٨
جـ - ابـن خلـدون ونظـرية المعرفـــة	٧٩
١ - تاسـيس العلـم على المشاهدة المحسـوسة والفكـــر .	٧٩
٢ - حـدود العقـــل	٨٠
د - نظـرة ابـن خلـدون الى القيـــم	٨٣
هـ - العلـــم والتعليـــم	٨٥
١ - العلـم والتعليم ظاهـرة اجتماعيـــة	٨٥
٢ - اهـداف التعليـــم	٨٧
٣ - علـم النفـس التربـوى	٨٨
٤ - التربيـــة العقليـــة	٩٤
٥ - منشـــاء التعليـــم	٩٦
٦ - تطـور التعليـم ونشـوؤه	٩٩
٧ - طريقـة التعليـــم	١٠١
٨ - اسـتعمال الشـــدة في التعليـم	١٠٨
٩ - الرحلـة في طلـب العلـم	١١٠
المـراجـــع	١١٤ - ١١٨

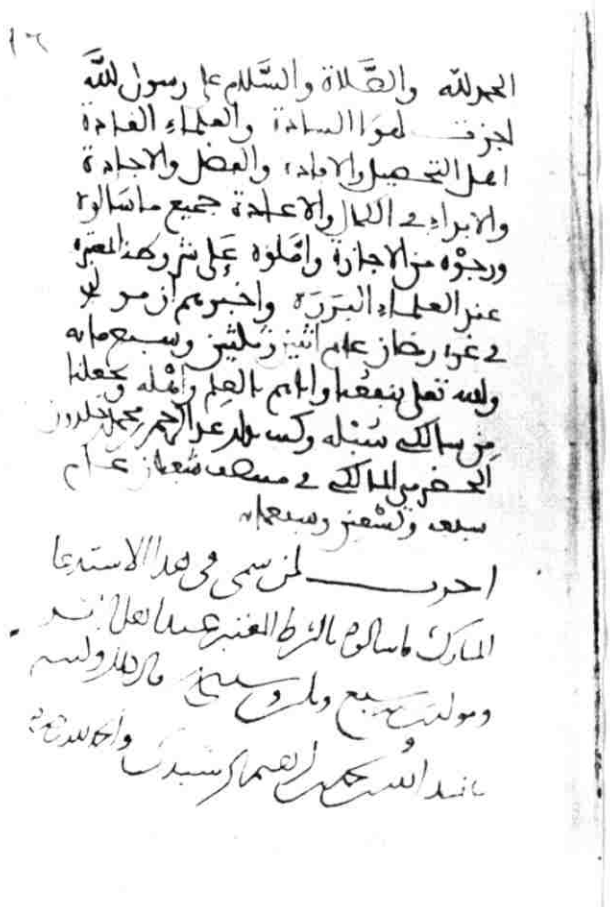

نموذج من خط ابن خلدون وفيه يعين تاريخ ميلاده .

الفصل الاول

عصر ابن خلدون

عصر ابن خلدون

الحالة السياسية

يمثل القرن الرابع عشر في التاريخ الاسلامي ، دور احتضار المدنية العباسية الفرسية ، وانتقال السيادة الزمنية من ايدى الاعاجم الغرباء الى ايدى الاتراك الدخلاء • وقد دهمت العالم الاسلامي آنئذ جيوش المغول والتتار فعاثت في ارجائه فسادا • فلا غرابة اذن ان راينا العصر عصر نزاع ونضال ، خر فيه شبح السلطة العباسية الفخم فريسة لاطماع الافراد الطامحة والفئات الثائرة كل ينتهش منها جزءا ليقيم على اساسه مملكة او امارة مستقلة •

فكان الحكم في الاندلس يقتسمه عدة امراء ، دعوا بامراء الطوائف ، استبد كل واحد منهم بمقاطعة صغيرة ، وهم لا ينفكون عن اغارة بعضهم على بعض قصد التوسع والاحتلال • اما المشرق فقد اغارت عليه جيوش التتار تذيقه من الوان الفتح في تلك الايام ما لم يذقه من قبل • واما شمالي افريقيا فكانت تقسم الى ثلاثة اقسام رئيسية :

١• افريقيا او ما ندعوه اليوم تونس وعاصمتها بهذا الاسم يحكمها بنو حفص من سلالة الموحدين •
٢• المغرب الاوسط او الجزائر وقد قام بامرها حين ذاك بنو عبد الواد في عاصمتهم تلمسان •
٣• المغرب الاقصى او مراكش وقد قام بامرها بنو مرين وعاصمتهم في فاس •

وفي الجنوب غير هذه السلطات ، قبائل متعددة من البربر ، تغزو المدن فتعكر عليها ما تركه لها الامراء الطامعون من الصفاء المضطرب . وهذه الدويلات نفسها منقسمة الى امارات عديدة يحكمها امراء غلبت عليهم الاثرة واستولى عليهم الجشع والطموح .(١)

وكان بنو مرين اقوى هذه الدويلات . وقد غزا مؤسس دولتهم ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق الاندلسي عدة مرات . وكان على عرش فاس زمن ابن خلدون السلطان ابو الحسن ولي الملك ٧٣١ هـ - ١٣٣٠ م وقد غزا جبل طارق ، ثم زحف على المغرب الاوسط حتى استولى على تلمسان قاعدة ملك بني عبد الواد ٧٣٧ هـ وبذلك امتدت دولة بني مرين شرقا حتى تونس . ثم استولى ابو الحسن ٧٤٨ هـ على تونس واسترد الحفصيون ملكهم ٧٥٠ هـ. لكن المولى الفضل ابن سهل الحفصي لم يكد ليرد ملك اسرته حتى خرج عليه الوزير ابو محمد عبد الله بن تفراجين وانتزع منه العرش ، واقام فيه اخاه الطفل ابا اسحق ابن يحي الحفصي وذلك في اوائل ٧٥١ هـ .

وفي سنة ٧٥٣ هـ زحف امير قسنطينه ابو زيد حفيد السلطان يحي الحفصي في قواته على تونس ، ليسترد ملك اسرته من قبضة الوزير المغتصب ابن تفراجين . وكان ابن خلدون في حاشية ابي زيد ، وهزم ابو زيد ، فانسل ابن خلدون من المعسكر ناجيا . ثم عزم ابو عنان بن ابي الحسن ملك المغرب الاقصى على فتح المغرب الاوسط واستعادة تلمسان التي افتتحها ابوه ، ثم استعادها منه بنو عبد الواد ، فزحف عليها سنة ٧٥٣ هـ وامتلكها وقتل ملكها ابا سعيد ، ثم دخلت بجاية في طاعته . وكان ابن خلدون في عسكرة بعد فراره من المعسكر ،

---

(١) شكري مهتدي ، عبد الرحمن ابن خلدون ، المقتطف . ص : ١٦٦

فسعى الى لقاء ابي عنان بتلمسان فاكرمه .

يتبين مما تقدم ان منتصف القرن الثامن للهجرة كان مزعزعا بالثورات والانقلابات وتتابع الدولات وكانت الامارات الصغيرة تتعاقب في القواعد والثغور الوسطى ، مثل بجاية وبونة وتلمسان وغيرها وتتشب بسببها حروب كثيرة متلاحقة (٢).

لقد تحدثنا بايجاز عن اهم الاحداث السياسية في عصر ابن خلدون وسنعطي بعد ذلك لمحة عن عصره العلمي لنقابل بين تلك الاحداث وبين الحالة الثقافية العامة في تلك العصر ومدى تاثرها بتلك الاوضاع المختلفة .

---

(٢) احمد الحوفي ، مع ابن خلدون ، ص ١٢٣-١٢٥

عصر ابن خلدون العلمي

كان سقوط بغداد في ايدى التتار سنة ٦٥٦ هـ كارثة منيت بها اللغة والادب والحضارة العربية • ثم اخذت الدول العربية تنهار في الاندلس ، فتسقط المدن في ايدى القوط الواحدة بعد الاخرى • عندها وجد العلماء في بغداد ان ليس لهم ملجاء سوى مصر اتقاء لشر التتار بدار السلام وحاضرة الاسلام ، بعدما احرق التتار كتبها وبعثروها • كذلك فعل علماء الاندلس هربا من العذاب والتنكيل •

ولقد كانت مصر انذاك المركز الثقافي للخلافة الاسلامية فاتسعت آفاقها وكثرت خيراتها ، وقصدها الفارسي والعراقي والحجازى والشامي والافريقي والاندلسي • ولقد اطمأنوا الى مصر نظرا لمعاملة المماليك الطيبة لهم فشرعوا يتممون ما بدأوابه واستانفوا انتاجهم العلمي والادبي • وزادهم نشاطا طموحهم الشخصي وعوامل اخرى شتى دفعتهم الى ان يعيدوا الى المجد الاسلامي والحضارة الاسلامية مجدها ورخاءها وان يسترجعوا الكتب النفيسة والمكتبة العربية التي فقدوها في نكبة بغداد والاندلس •

فكان لهذه الخطوة نتائج عظيمة ، فكثر الانتاج في هذا العصر وكثرت المدارس واختلفت عن المدارس الاولى بجودتها واتساعها لعدد كبير من الطلاب حتى ان المدرسة الفاضلية كان فيها نحو مئة الف مجلد • وقد اهتم القاضي الفاضل موسس المدرسة الفاضلية باقتناء الكتب المختلفة واستخدم النساخ والمجلدين لاجل ذلك حتى بلغ عدد كتبه قبل وفاته بعشرين سنة اثني عشر الفا واربعمائة كتاب .(٣)

---

(٣) احمد الحوفي ، ع • س • ص : ٥ - ٦

وقد امتاز عصر ابن خلدون بكثرة الكتب الجامعة لاشتات من العلوم والثقافة والادب • ولمعت في هذا العصر اسماء كثير من العلماء والمؤلفين مثل ابن تيميه (٦٦١ - ٧٢٨ هـ) وابن هشام (٧٠٨ - ٧٦١ هـ) والقسطلاني ، شارح البخارى ومؤلف المواهب (٨٥١-٩٢٣) وابن مالك (٦٠٠ - ٦٧١ هـ) والسيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ) وابن منظور ، صاحب لسان العرب (٦٣٠ - ٧١١ هـ) والفيروزابادى ، صاحب المحيط (٧٢٩ - ٨١٧ هـ) •

ومما يؤخذ على هؤلاء المؤلفين في ذلك العصر انهم لم يجيدوا النقد لما يروى ، ولم يعلقوا على الحوادث والتاريخ بآراء تدل على شخصيتهم العلمية ، ولم يبينوا دوافعها ونتائجها الحقيقية • ولم يتعرضوا في بحثهم عن دراسة السلاطين والامراء ونشأتهم وبيئتهم واثرها ، لكنهم عنوا العناية الاولى بالاحداث السياسية والحربية واغفلوا الحياة الاجتماعية والاقتصادية والخلقية وبذلك اهتموا بالملوك وحدهم لا بالشعوب • وقد انتحى ابن خلدون ناحية اخرى في هذا المضمار اختلفت عن معاصريه من الكتاب والنقاد فوضع اصولا تكفل للمؤرخ ان يهتدى الى الصواب واهتم بدراسة المجتمع واحواله (٤).

اما بلاد المغرب فقد اهتمت بالحديث والفقه ولا سيما مذهب مالك وابي حنيفة • وقد اهملت العلوم الفلسفية الى حد ما نظرا لاضطهاد الفلاسفة وتخريب كتبهم • ويقول الحوفي : " لكن عبقرية ابن خلدون حطمت قيود البيئة وحدود العلوم المرسومة فنبغ في عصر ندر فيه من يجدد وسبق اهل زمانه سبقا لا يدرك ، بل سبق من بعده سبقا يجهد من يترسم خطاه او يحاول ان يبلغ مداه "(٥).

مما يجدر ملاحظته ان العالم العربي ، في عصر ابن خلدون ، كان

---

(٤) م • س • ص : ٧

(٥) م • ن • ص : ٨

يتمتع بوحدة ادبية وثقافية واضحة المعالم ، على الرغم من تفككه السياسي الذى وصفناه سابقا .

كانت وحدة اللغة تربط مختلف اقطار العالم العربي بروابط معنوية قوية ، وتعمل على الدوام على تقارب الافكار وتجاوب النفوس . كما ان حركات التجارة وفروض الحج ، كانت تولد تيارات مستمرة ، تسهل التعارف بين سكان الاقطار المختلفة ، وتساعد على انتقال الافكار والاخبار بين هذه الاقطار .

كان الادباء والفقهاء والعلماء يتصلون بعضهم ببعض ، بالمخابرة او بالمشافهة وكانت ثمرات قرائحهم تنتقل من قطر الى آخر بسرعة وسهولة ، وكانت شهرة الكبار منهم تنتشر في جميع الاقطار العربية .

وربما كانت حياة ابن خلدون نفسه من ابلغ الامثلة واوضح الادلة على هذه الوحدة الادبية والثقافية ، التي كانت تبسط اجنحتها على جميع البلاد العربية على الرغم من اختلاف اوضاعها السياسية ، وعلى الرغم من منافسات حكامها ومخاصماتهم المتوالية (٦) .

---

(٦) ساطع الحصرى ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٦٤

حيـــاة ابـن خـلـــدون

نســـــبه :

هو عبد الرحمـن بن محمـد بن محمـد بن محمـد بن الحسـن بن محمـد بن محمـد بن ابراهيـم بن عبـد الرحمـــن بـن خـلـــدون • ونســـبهم فـــي حضـرموت ، من عـرب اليمـن الى وائـل بن حجـر ، من اقيـال العرب • وكا ن جـده خـلـــدون قـد دخـل الى الاندلـس ، ونـزل بقرمـونه فـي رهـــط من قـومه ، ونشـأ بيت بنيـه بهـا ، ثم انتقـلوا الى اشـبيليـه • ولم يزل بيـت بنـي خلـدون باشـبيليـه - كمـا ذكـره ابو حيـان وابن حـزم وغيـرهما - سائـر ايـام بني اميـة الى ازمـان الطوائـف • ثـم انمحـت عنهـم الامـارة بما ذهب لهـم من الشـــوكـة (٧).

حيـــاتـه :

ولـد ابن خـلـــدون في تونـــس ســـنة ١٣٣٢ م (٧٣٢ هـ) ، وتوفـي ســـنة ١٤٠٦ م • وقـد قضـى ابـن خلـدون ايـام صبـاه بين ايـدى والـده الذى كان قد اعتـزل السـياسـة وتفـرغ للعـلم ، فـدرس عليـه القـرآن واللغـة والحديـث واتقنهـا وهو لا يـزال في سـن مبكـرة • وعندمـا اسـتولى السـلطان ابـو الحسـن المرينـي على تونـس ١٣٤٧ ، اخـذ ابـن خلـدون يـدرس عـلى العلمـاء المغاربـة الذيـن كان يسـتصحبهـم السـلطان للمفاخـرة والتـرك ، فاتـم على يدهـم العلـوم الشـرعية والكلاميـة المعـروفة في ذلك الحيـن • ثـم اغتنـم الفرصـة وعقـد مـع هـؤلاء الاسـاتذة روابـط علميـــة ،كانت فيمـا بعـــد

---

(٧) ابن خلـدون ، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص : ٤

الخطوة الاولى في سبيل الخطوة السياسية التي شغلت كل حياة ابن خلدون (٨).

كانت السنوات الطويلة التي عاشها ابن خلدون زاخرة بنشاط خارق للعادة ، وحيوية محيرة للعقول . لقد كان نشاطه عديد الجوانب : شمل ميادين الادارة والسياسة ، الخطابة والقضاء والدرس والبحث ، والتدريس والتاليف . وكانت حيويته عنيفة صاخبة ، لا تعرف معنى للهدوء ، ولا تبالي بالاخطار والاهوال . ولذلك صارت حياته سلسلة طويلة من حوادث النجاح والفشل .

دخل غمار الحياة العامه قبل ان يبلغ العشرين من عمره ، وقام بمهمة سياسية خطيرة ، بعدما وصل الى عتبة السبعين ايضا . وبين وظيفته الاولى ومهمته الاخيرة ، تولى كتابة السر ، وخطة المظالم ، وصار وزيرا ، وحاجبا ، وسفيرا ، ومدرسا ، وقاضيا وخطيبا ، كل ذلك بين سلسلة من الحوادث والمشاكل ، وبين ضروب من المنافسات والمخاصمات .

ولم يتمتع ابن خلدون بحياة الهدوء بمعناها التام الا نحو اربعة اعوام بين سنة ١٣٧٥ وسنة ١٣٧٨ عندما اعتزل الحياة العامه في قلعة ابن سلامة . ولقد كانت هذه السنوات الاربع اثمن واخصب سني حياته من حيث النشاط الفكرى والانتاج العلمي لانه عكف في تلك المدة على كتابة مقدمته العظيمة التي رفعته الى مصاف رجال الفكر العظام في العالم بل وضمنت له الخلود (٩).

لم ينحصر نشاط ابن خلدون في تونس مسقط راسه ، بل شمل معظم اقطار العالم العربي . فقد قضى نحو ٢٤ سنة من

---

(٨) شكرى مهتدى ، "عبد الرحمن ابن خلدون" ، المقتطف ص : ١٧٠

(٩) ساطع الحصرى ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ص : ٤٤

حياته في تونس و ٢٦ سنة منها في المغرب الاوسط والاقصى والاندلس و ٢٤ سنة منها في مصر والشام والحجاز .

لقد ساعدت ظروف حياة ابن خلدون هذه على توسيع ملاحظاته وتنمية معلوماته مساعدة كبيرة ، كما انها اثرت في تكوين اسلوب تفكيره تاثيرا عميقا .

قلنا انه انحدر من عائلة عريقة لعبت دورا هاما في الحياة السياسية وتولى اجداده اعظم المناصب واعلاها . وقد نشا ابن خلدون في ظل هذه الاسرة يسمع مناقب اجداده ويحضر مجالس والده . وقد ولدت هذه البيئة العائلية في نفسه نزعتين قويتين : حب المنصب والجاه من ناحية ، وحب الدرس والعلم من ناحية اخرى . ولذلك نجد ابن خلدون ينكب حينا على الدرس والتحصيل ، ويدخل الحياة العامة حينا اخر ليخوض الحياة السياسية يدفعه المنصب والجاه والطموح .

ان النزعتين المذكورتين مكنتا ابن خلدون من تاليف المقدمة . ان حب المنصب والجاه دفعه الى خوض غمار الحياة السياسية ، ولكن حب الدرس والعلم جعله يتامل في صفحات هذه الحياة ، تاملا نظريا استقراء منها مبادىء عامة ساعدته على ابداع علم جديد ، هو علم الاجتماع (١٠).

يمكننا ان نقسم حياة ابن خلدون الى ثلاثة ادوار اساسية من تاريخ دخوله الحياة العامة :

الدور الاول : كان دور العمل السياسي في بلاد المغرب استمر مدة تزيد على عقدين من السنين (١٣٥٢ - ١٣٧٤) تولى فيها مناصب سياسية مهمة كوظيفة كتابة العلامة وخطة المظالم

---

(١٠) ساطع الحصري ، م . س . ص : ٥١

ومنصب الحجابة وكانت ارفع مناصب الدولة .

الدور الثاني : كان دور الانزواء والتامل والتاليف في قلعة ابن سلامة استمر اربع سنوات (١٣٧٤ - ١٣٧٨) .

الدور الثالث : كان دور الانصراف الى التدريس والقضاء ، مع مراجعة التاليف واستمر ثمانية وعشرين عاما (١٣٧٨ - ١٤٠٦)[١١].

هذه نظرة عامة عن حياة ابن خلدون تبين لنا العوامل والمؤثرات التي اثرت في حياته وفي شخصيته .

---

(١١) ساطع الحصري ، م . س . ص : ٩٤

الفصـــل الثـانـــي

العـلـــوم وابـن خـلـــدون

العلـــوم وابـن خلـــدون

تعتبـر الفصـول المحتويـة على اصنـاف العلـوم عند ابـن خلـــدون تاريخـا كامـلا للعلـوم والاداب عنـد العـرب منـذ بـدء الاسـلام حتى القـرن الثامـن • وابـن خلـدون هو اول مسـلم كتب تاريخ الحركـة الادبيـة والعقليـة للمسـلميـن بطـريقة تكـاد تكـون حديثـة • وقـد اكتفـى الكتاب من قبلـــه بوضـع كتب جامعـة تاتي على ذكـر اشـهر العلمـاء في فـرع من العلـوم اوجميـع العلمـاء وجميـع الاداب بطريقـة عامـة ، او تحتـوى فهـارس لاسـماء كل الكتـب التي وضعـت في مختلـف كل العلـوم • ولكـن لـم يتطـرق احـد منهـم الـى درس العلـوم كل منهـا على حـدة كمـا فعـل ابـن خلـدون(١٢).

وسـنعرض هـذه العلـوم التي افـرد لها ابن خلـدون فصولا عديـــدة في المقـدمة عرضـا عامـا نظـرا لاهميتهـا ولعلاقتهـا بمذاهـب التعليـم عنـد ابن خلـــدون •

العلـــوم واقســـامها

اهتـم ابـن خلـدون بتصنيـف العلـوم وتقسـيمها ، وبيـان ما تبحـث فيـه ، وتقديـر فائدتهـا للمتعلـم ، حتى يمكنـه ان يصنـع منهجـا دراســـيا مناسـبا ، بحيث يكـون اداة للوصـول الى تحقيـق اهـداف التعليـم عنده • ونجده يرتـب العلـوم في درجـات تنـازليـة حسـب فائـدتهـا للمتعلـم واسـبقيتهـا فـي الاهميـة بالنســـبة لتعليمـــه •

---

(١٢) طـه حسـين ، فلسـفة ابن خلـدون الاجتماعيـة ، ص : ١٥٦

وقد قسم ابن خلدون العلوم المنتشرة في المجتمعات المتحضرة حتى عصره الى قسمين كبيرين : قسم طبيعي للانسان يهتدي اليه بنفسه ، وقسم نقلي يتعلمه عمن وضعه من قبله . فالقسم الاول هو العلوم العقلية او كما سماها العلوم الحكمية الفلسفية التي يمكن للانسان ان يتعلمها ويطلع على مسائلها ووجوهها المختلفة بواسطة تفكيره ومداركه البشرية حتى اذا وقف عليها تبين غثها من سمينها . واما القسم الثاني فهو العلوم النقلية الوضعية التي تستند الى واضعها وليس للعقل فيها شان الا في اتباع الفروع باصول المسائل .

١ - العلوم النقلية :

هي علوم ينقلها الانسان عمن وضعها او اسسها ، وتتوارثها الاجيال ، وكل هذه العلوم "مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق الفروع من مسائلها بالاصول" . وتسعى هذه العلوم الى شرح العقيدة وتنظيم فرائض الدين ، وسن القوانين الشرعية اى ان العلوم النقلية هي علوم الدين بانواعها ، وما يرتبط بها من علوم مساعدة لها ، ومهيئة لدراستها مثل علم اللغة والنحو وغيرهما . ويقول ابن خلدون : "واصل هذه العلوم كلها هو الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي سنة مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيئها للافادة"(١٣).

اما اصناف هذه العلوم النقلية فهي :-

١- علوم القرآن من التفسير والقراءات

أ- القرآن : هو كلام الله المنزل على نبيه وقد روى على طرق مختلفة من قبل الصحابة وتنوقل واشتهر الى ان استقرت هذه

---

(١٣) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٣٥

الروايات على سبع طرق معينة واختصت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها فصارت هذه القراءات السبع اصولا للقراءة . ولم يزل القراء يتداولون هذه القراءات وروايتها الى ان كتبت العلوم ودونت فكتبت فيما كتب من العلوم وصارت صناعة مخصوصة وعلما منفردا وتناقله الناس بالمشرق والاندلس في جيل بعد جيل(١٤).

ب - التفسير : بعد ان يعرف هذا العلم بانه النظر بالكتاب ببيان الفاظه ، ياتي على ذكر تاريخ هذا العلم ، فيقول نزل القرآن بلغة العرب وعلى اساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه . وكان ينزل جملا وآيات لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع . وكان النبي يبين المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه الى الصحابة . ثم تنوقلت هذه الايات من الصحابة حتى صارت المعارف علوما ودونت الكتب ونقلت الاثار الواردة فيما عن الصحابة والتابعين وانتهى ذلك الى الطبري والواقدي والثعالبي وامثالهم من المفسرين . ثم صارت علوم اللسان صناعية من الكلام في موضوعات اللغة واحكام الاعراب فوضعت الدواوين في ذلك وصارت تتلقى من كتب اهل اللسان فاصبح تفسير القرآن ضروريا في مثل هذه الحالة لانه بلسان العرب وعلى مناهج بلاغتهم . واصبح التفسير على نوعين تفسير نقلي مسند الى الاثار المنقولة عن السلف وهي معرفة الناسخ والمنسوخ واسباب النزول . والنوع الاخر من التفسير هو ما يرجع الى اللسان من معرفة اللغة والاعراب والبلاغة في تادية المعنى بحسب المقاصد والاساليب(١٥).

---

(١٤) ابن خلدون ، م . س . ص : ٤٣٧

(١٥) م . ن . ص : ٤٣٩ ، ٤٤٠

٢ - علـــوم الحديـث :

يقـول ابـن خلـدون : "وامـا علـوم الحديـث فكثيـرة ومتنوعـة لان منها ما ينظـر في ناسـخه ومنسـوخه ، وذلك بما ثبـت في شـريعتنـا مـن جـواز النسـخ ووقوعـه لطفـا من اللـه وعبـاده وتخفيفـا عنهـم بـاعتبـار مصالحهـم التي تكفـل لهـم بهـا ".

ياتـي على ذكـر من اشـتهر في علـم الحـديث فيقـول بان ابـا عبـد اللـه الحاكـم هو من فحـول علمـاء الحديث وائمتهـم وتآليفـه فيـه مشـهورة وهـو الذى هذبـه واظهـر محاسـنه . وياتي بعـده محي الديـن النـووى والبخـارى وصحيـح مسـلم الذى اعتنـى به علمـاء المغـرب وغيـرهم ممن اشتهروا بهـذا العلـم . بعدهـا يبيـن كيف اختلـفت آراؤهـم وتفاوتـوا في نقلهـم الاحاديـث . وقـد ذكـر ابن خلـدون اماكنهـم واوطانهـم كما ذكـر طريقـة كل بلـد في روى الاحاديـث وبيـن حسـنات وسـيئات كل واحـدة منهـا ثـم عـدد الاحاديـث لكـل واحـد منهـم(١٦).

٣ - علـم الفقـه والفرائـض :

الفقـه هو "معرفـة احكـام اللـه تعالـى في افعـال المكلفيـن بالوجـوب والحذر والنـدب والكـراهة والابـاحة ، وهي متلقـاة من الكتـاب والسـنة ومـا نصبـه الشـارع لمعرفتهـا من الادلـة . فاذا اسـتخرجت الاحكـام من تلـك الادلـة قيـل لهـا فقـه . وكان السـلف يسـتخرجونهـا من تلـك الادلـة على اختـلاف فيمـا بينهـم (١٧).

بعد ان اصبـح الفقـه صناعـة وعلمـا انقسـم الى طريقتيـن طريقـة اهـل الرأى والقيـاس وهـؤلاء هـم اهـل العـراق . وطريقـة اهـل الحديث وهـم

---

(١٦) ابـن خلـدون ، م . س . ص : ٤٤١

(١٧) م . ن . ص : ٤٤٥

اهل الحجاز . وقد ذكر ابن خلدون اهم واشهر الفقهاء في ذلك العصر وطرقهم المختلفة ، فاما اهل العراق فامامهم الذى استقرت عنده مذاهبهم ابو حنيفة النعمان بن ثابت . واما اهل الحجاز فكان امامهم مالك بن انس الاصبحي امام دار الهجرة ، واتى بعده محمد بن ادريس المطلبي الشافعي وغيرهم . ثم تتبع تاريخ هذا العلم في مختلف الاقطار الاسلامية واساليبه كما ذكر الكتب المهمة الباحثة في هذا الموضوع مثل كتاب النوادر لابي زيد وكتاب العتبية للعتبي . (١٨)

اما علم الفرائض فهو "معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة باعتبار فروضها الاصول ومناسختها" . وقد جعلوه فنا منفردا وان للناس في هذا العلم تآليف كثيرة يعدد ابن خلدون اشهرها مثل كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي ابي القاسم الحوفي ثم الجعدى وغيرهم . ان هذا العلم "هو فن شريف لجمعه بين المعقول والمنقول والوصول به الى الحقوق في الوراثات بوجوه صحيحة يقينية عندما تجهل الخطوط وتشكل على القسامين . ثم يقول " وهو ان يكن متداولا بين الناس ولا يفيد فيما يتداولون من وراثتهم لغرابته وقلة وقوعه فهو يفيد المران وتحصيل الملكة في المتداول على اكمل الوجوه "(١٩) .

٤ - علم التصوف :

يعرفه ابن خلدون كما يلي : " هو علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ، واصل هذا العلم هو العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل

---

(١٨) ابن خلدون ، ع . س . ص : ٤٤٦

(١٩) ع . ن . ص : ٤٥٢

عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ".

يعتبر ابن خلدون هذا العلم من العلوم الشرعية وانه احد العلوم "الحادثة في الملة" ، وان علم التصوف ناتج عن انقطاع بعض الصحابة والائمة للعبادة واعراضهم عن زينة الحياة الدنيا وترفها . ولذا فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس ومنهم من كتب في اصول العبادات وما الى ذلك (٢٠).

٥ - علم الكلام :

وتشمل العلوم النقلية ايضا علم الكلام وهو علم " يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالادلة العقلية . والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف واهل السنة وسر هذه العقائد الايمانية هو التوحيد ".

٦ - علم تعبير الرؤيا :

اعتبر ابن خلدون علم تعبير الرؤيا من العلوم الشرعية . وهي موجودة في صنف البشر على الاطلاق . وهي مدرك من مدارك الغيب ولا بد من تعبيرها . يعطي هنا مثلا على يوسف الصديق وتفسيره للاحلام . ويعلل السبب في كون الرؤيا مدركا للغيب بقوله " ان الروح القلبي وهو النجار اللطيف والمنبعث من تجويف القلب اللحمي ينتشر في الشريانات ومع الدم في سائر البدن وبه تكمل افعال القوى الحيوانية واحساسها ، فاذا ادركه الملال بكثرة التصرف في الاجناس بالحواس الخمس وتصريف القوى الظاهرة وغشي سطح البدن

---

(٢٠) ابن خلدون ، م . س . ص : ٤٦٧

ما سرد الليل انحبس الروح من سائر اقطار البدن الى مركزه القلبي فيستحم بذلك لمعاودة فعله فتعطلت الحواس الظاهرة كلها وذلك معنى النوم . ثم ان هذا الروح القلبي هو مطيه للروح العاقل من الانسان والروح العاقل مدرك لجميع ما في عالم الامر بذاته . ثم يقول " واذا ادرك ما يدرك من عوالمه رجع الى بدنه اذ هو ما دام في بدنه جسماني لا يمكنه التصرف الا بالمدارك الجسمانية والمدارك الجسمانية للعلم انما هي الدماغية والمتصرف منها هو الخيال فانه ينتزع من الصور المحسوسه صورا خيالية ثم يدفعها الى المحافظة تحفظها له الى وقت الحاجة اليها عند النظر والاستدلال . وكذلك تجرد النفس منها صورا اخرى نفسانية عقلية فيترقى التجريد من المحسوس الى المعقول والخيال واسطة بينهما . ولذلك اذا ادركت النفس من عالمها ما تدركه ، القته الى الخيال فيصوره بالصورة المناسب له ويدفعه الى الحس المشترك فيراه النائم كانه محسوس فيتنزل المدرك من الروح العقلي الى الحسي والخيال ايضا واسطة . هذه هي حقيقة الرؤيا "(٢١)

هذه هي اهم اصناف العلوم النقلية كما ذكرها ابن خلدون ، ويقول ابن خلدون ان العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الاسلامية واهلها . فدراستها واجبة على كل مسلم وضرورية لحياته لارتباطها بالدين الذى يساعد الفرد على ان يحيا حياة طيبة فاضلة ، معصومة عن الاخطاء . اما العلوم الدينية غير الاسلامية ، والتي تختص بالديانات التي انزلت قبل ظهور الاسلام ، فانه ينبغي تجنب دراستها " فقد نهى الشرع عن النظر في الكتب المنزلة غير القرآن " . ذلك لان القرآن يتناول الحياة البشرية من جميع نواحيها روحية كانت ام مادية ، ومنه تؤخذ القوانين التي يسير وفقها المجتمع ، اما الكتب الدينية الاخرى فلا تعنى الا بالنواحي الروحية

---

(٢١) ابن خلدون ، م . س . ص : ٤٧٦

فقط . وقد وفى القرآن هذه النواحي حقها . وبالاضافة الى هذا فان العلوم الشرعية قد بلغت من التنظيم والاكتمال والتنقيح مبلغا عظيما " فجاءت من وراء الغاية في الحسن والتنميق ، وكان لكل من رجال يرجع اليهم فيه واوضاع يستفاد منها.(٢٢)

٢ - اصناف العلوم العقلية :

١ - العلوم العددية :

يبحث ابن خلدون في العلوم العددية وانواعها وما ياتي فيها ويبين فوائد هذه العلوم العددية وما تسهله في المعاملات والحياة ثم يفسر بعضا منها ويشرح طرقها ويعطي امثالا على ذلك في تطبيقها . يقول ان الارتماطيقي هو اول هذه العلوم العددية ومعناه معرفة خواص الاعداد . والفرع الاخر هو علم العدد بالضم والتفريق " وياتي هنا على ذكر طرق حسابية مختلفة . ويعتبر الحساب من احسن التعليم ان يبتدىء الانسان بها لانها معارف متضحة وبراهين منتظمة فينشاء عنها في الغالب عقل مضيء درب على الصواب .(٢٣)

ومن فروع العلوم العددية الجبر والمقابلة (وهي صناعة يستخرج منها العدد المجهول من قبل العلوم) . والفروع الاخرى هي المعاملات لتصريف الحساب في المعاملات والمساحات والزكاوات . ويذكر هنا ان التكرار والتدريب على المسائل الحسابية مهم جدا لترسخ الملكة في صناعة الحساب ومن فروعه ايضا الفرائض وهي " صناعة حسابية في تصحيح السهام لذوى الفروض في الوراثات "(٢٤)

---

(٢٢) ابن خلدون ، ع . س . ص : ٤٣٦

(٢٣) ع . ن . ص : ٤٨٣ و ٤٨٤

(٢٤) ع . ن . ص : ٤٨٤

٢ - في العلوم الهندسية :

علم الهندسة هو النظر في المقادير اما المتصلة كالخط والسطح والجسم واما المنفصلة كالاعداد ، هكذا عرف ابن خلدون علم الهندسة ثم اخذ يبين او من كتب هذا العلم وهم اليونانيون وقد ترجمت كتاباتهم الى العربية ايام الخليفة ابي جعفر المنصور . ثم ذهب يبين فوائد علم الهندسة ويقول بانها تكسب العقل اضاءة ، واستقامة ، لانها مبنية على براهين منتظمة واضحة الترتيب فيبتعد الفكر بممارستها عن الخطاء . وبعدها ياتي ابن خلدون على ذكر فروع علم الهندسة فمن فروعها الهندسة المختصة بالاشكال الكروية والمخروطات وهناك الهندسة المختصة بالمساحة والاراضي ثم المناظرة وهي احدى فروع الهندسة . وقد ذكر ابن خلدون اهم ما اشتهر وألف من اليونانيين والعرب في هذا العلم معددا اسماء كتبهم وتآليفهم .(٢٥)

٣ - في علم الهيئة :

علم الهيئة هو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة ثم في اشكال الافلاك واوضاعها . يتكلم بعدها عن تركيب الافلاك والكواكب وياتي على وصف كيفية اقبال الناس على هذا العلم في العهود الاسلامية وكيف اعتنى بها اليونان قبل العرب والفوا عنها الكتب الطويلة المشهورة . ويذكر ان من فروع هذا العلم هو علم الازياج وهي صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته ويذكر تآليف الاقدمين في هذا الفرع من العلوم .(٢٦)

---

(٢٥) ابن خلدون ، ع . س . ص : ٤٨٦ - ٤٨٧

(٢٦) ع . ن . ص : ٤٨٨

٤ - في علم المنطق :

علم المنطق هو القوانين التي يعرف بواسطتها حدود المعرفة الصحيحة وما هي الحجج الصالحة لتصديق صحة هذه المعرفة من الفاسد فيها .

يقول ابن خلدون ان بالحواس الخمسة تدرك المحسوسات ، والحيوانات جميعها بما فيها الانسان تشترك في ادراكها . انما يمتاز الانسان عن الحيوان بادراكه للكليات التي تتجرد عن المحسوسات ويتم ذلك بان يجمع الانسان في خياله صورة واضحة استغلها من عدة صور متشابهة في ذهنه ينطبق على تلك الاشخاص المحسوسة . ويظل يرتقي بالتجريد الى العقل الذى لا يجد كليا آخر معه يوافقه . فمثلا تجريد صورة الفرع المنطبقة على الانسان وتجريد صورة الجنس على الانسان والحيوان ثم النبات الى ان ينتهي العقل الى الجنس العالي وهو الجوهر فلا يجد كليا يوافقه .(٢٧)

ياتي ابن خلدون على ذكر اول من تكلموا بهذا العلم جملا ثم يبين كيف جمع بعد ذلك بواسطة الفيلسوف اليوناني الكبير ارسطو الذى رتبه وتمغه وجعله اول العلوم الحكمية ولذلك سمي بالمعلم الاول ويعرف كتابه بعلم المنطق بالنص ويشتمل على ثمانية كتب ، اربعة منها عن القياس واربعة اخرى عن مادة القياس الاول في الاجناس العاليه واسم الكتاب المعقولات والثاني في القضايا التصديقية واصنافها ويسمى كتاب العبارة والثالث كتاب القياس والرابع كتاب البراهين وهو النظر في القياس المنتج والخامس كتاب الجدل والسادس كتاب السفسطة والسابع كتاب الخطابة والثامن كتاب

---

(٢٧) ابن خلدون ، م.س. ص: ٤٨٩

الشـــعر • بعد ان يعرف هذه الكتـب باختصـار يتحدث عن نقلهـا بين مختلـف الامـم ، ويبيـن ان كثيرا منهـا او كلها مترجمـة الـى اللغـة العربيـة وتداولها فلاسـفة الاســلام بالشـرح والتلخيـص كمـا فعـل الفارابـي ولبن سـينا وابـن رشـد وغيـرهم .(٢٨)

٥ - الطبيعيـــات :

يعـرف ابـن خلـدون علـم الطبيعيـات كما يلـي : " هو علـم يبحث عن الجسـم من جهـة وبما يلحقـه من الحركـة والسـكون فينظـر في الاجسـام السـماويـة والعنصـرية وما يتولـد عنها من حيـوان وانسان ونبـات ومعدن وما يتكون في الارض من العيـون والزلـزال وفي الجـو من السـحاب والبخـار والرعـد والبـرق والصواعـق وغير ذلك .... وفـي مبـداء الحركـة للاجســام وهو على تنوعهـا في الانسـان والحيــوان والنبـات " •

يذكـر ان كتب ارسـطو جيدة في هذا المضمـار وان هذه العلـوم قد ترجمـت ايـام المـأمـون والـف الناس على نمطهـا واحسـن من الـف في ذلـك هو ابـن سـينا في كتاب الشـفاء وقد تبعـه مؤلفـون آخـرو ن وشـرحت كتبـه من قبـل كثيـريـــن .(٢٩)

٦ - في علـــم الطـــب :

يقـول ابـن خلـدون ان علـم الطب فرع من فـروع الطبيعيـات وهو صناعـة تنظـر بجسـم الانسـان من حيث صحتـه او مرضـه • وهـو يسـاعد الانسـان على الاسـتعانة بالادويـة والاغـذيـة الملائمـة فـي

---

(٢٨) ابن خلـدون ، ع• س• ص: ٤٩١

(٢٩) ا ع• ن• ص : ٤٩٢

حالات المرض والموافقة للمرض ويساعد على فهم عوارض المرض واسبابها ، ومعرفة طبيعة الانسان او تكوينه الطبيعي هو العامل الاساسي في حالتي الصحة والمرض.ودور الطبيب هو ان يعين هذه القوة الطبيعية بعض الشيء بحسب ما تقتضي طبيعة المادة والنضل والسن وهذا هو علم الطب بذاته ويقول : ان بعض الناس افردوا بعض اعضاء الجسم كالعين مثلا واعتبروه علما خاصا بذلك ، ولكن مع هذا فان كل هذه تعتبر موضوعا من مواضيع علم الطب • ثم يذكر ان جالينوس الذى يقال انه كان معاصرا للمسيح هو امام هذه الصناعة وله تآليف عديدة في هذا المضمار وقد اقتدى بها واتبعها جميع الاطباء بعده • ويذكر بعض الاطباء في الاسلام كالبرازى وابن سينا وغيرهم • ثم يقول ان الطب في البداية يختلف عما هو في اماكن العمران ذلك ان اهل البادية يبنون الطب على تجارب متوارثة ومأخوذة من مشايخهم قد يصح في بعض الاحيان الا انه ليس مبنيا على قانون طبيعي ولا على موافقة المزاج وهذا الطب كان رائجا عند العرب وكان فيهم اطباء معرفون كالحارث بن كلدة وغيره •

وهو يستبعد ان يكون الطب شيئا مشروعا او انه يدخل في المسائل الدينية التي تتعلق بالشرع والنبي لكنه يقول انه لا شك ان للاعيان اثرا كبيرا في الاستفادة والنفع وحتى هذا لا يدخل في شؤون الطب .(٣٠)

٧ - في الفلاحة :

الفلاحة هي صناعة من فروع الطبيعيات تنظر في النبات من حيث نموه ونشوئه والاعتناء بالسقي والعلاج • وقد كان الاقدمون

---

(٣٠) ابن خلدون ، م • س • ص : ٤٩٣

ينظـرون الى العنايـة به نظـرة عامـه من حيث غرسـه وتنميتـــه ٠ وعظمت عنايتهـم بالنبـات لاعتقادهـم ان ذلك يتعلـق بـروحانيـــات الكواكـب والهيـاكل ٠ وقد ترجمـت كتب كثيـره في ذلك عن اليونانيـين منها كتاب الفلاحـة النبطيـة ٠ اما الكتب التي تلـت كتب الاقدميـن فهي كثيـرة في الفلاحـة وغيـرها مما يتعلـق في ذلك ٠(٣١)

٨ - في علـم الالهيـــات :

علـم الالهيـات هو علـم ينظـر في الوجـود المطلـق اى في كـل الامـور التي تتعلـق في الوجـود وهي كثيـرة :-

اولا : في كل الامـور التي تتعلـق بالجسمانيـات والروحانيـات من حيث ماهيتهـا ووحدتهـا وكثـرتها وامكانيتهـا ٠

ثانيا : في مبادىء الموجودات ثم في كيفيـة صدور الموجودات عنهـا ٠

ثالثا : في احوال النفـس عندما تفـارق الاجسـام ٠ يقـول هنا انهـم يعتقدون ان هذا العلـم علم شـريف لانه يسـاعدهم على الاطلاع على معرفة الوجـود وبذلك تتم السـعادة على حد زعمهـم ٠

وياتي بعد الطبيعيـات في الترتيـب [redacted] ولذلك يسـمونه علـم ما وراء الطبيعـة ، ولقد كتب في ذلك ارسـطو وتناقلته الناس ولخـص من قبل كثيريـن من الفلاسـفة والحكمـاء مثل ابن سـينا وابن رشـد ثـم جـاء المتاخـرون من المتكلميـن في مسائل علـم الكلام فمزجـوا علـومهـم بهـذا العلـم واصبحت كانهـا فنـا واحـدا وجعلـوا الكلام في الامـــور العامـه في المقدمـة ثم الحقـوه بالجسـمانيات والروحانيـات ومـا يتبعهـا ٠ فاصبـح علـم الكلام مختلطـا بمسـائل الحكمـة ٠ فحصـل من جراء ذلـك التبـاس في الناس ٠ وهذا صحيـح لان مسـائل علـم الكلام هي عقـائـد

---

(٣١) ابن خلـدون ، م٠س٠ ص : ٤٩٤

اخذت من الشريعة دون الرجوع فيها الى العقل لان العقل مستقل عن الشرع وامثاله . وليس معنى اقامة الحج من قبل المتكلمين فيها هو البحث عن الحق فتعليل الامور بالادلة هي من شان الفلسفة وهي التماس حجة عقلية تقوى عقائد الايمان ومذاهب الاسلاف وتمنع دخول الشبهات اليها من اهل البدع بعد ان ادعوا انهم ادركوها بالادلة العقلية .

٩ - في علوم السحر والطلسمات :

يصف هذه العلوم ابن خلدون بانها علوم واستعدادات تقوم بها النفوس البشرية للتاثير في عالم العناصر . وهي على نوعين : - الاول يدعى السحر ويتم تاثيره بدون المساعدة السماوية . والثاني الطلسمات ولا يتم تاثيره الا بمساعدة الامور السماوية .

يقول ابن خلدون كادت كتب هذه العلوم ان تكون مفقودة ذلك لان الشرائع لا تعترف بها لما فيها من ضرر واشياء تتنافى والدين . لكنه وجد شيء من هذا في كتب الاقدمين قبل موسى عليه السلام مثل النبط والكلدانيين ، ولم يترجم الا القليل منها مثل كتاب الفلاحة النبطية . فاقبل الناس على هذا العلم وغننوا فيه ، ووضعت بعض الكتب في ذلك مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندى في صور الدرج والكواكب وغيرها . ثم ظهر احد كبار السحرة في المشرق وهو جابر بن حيان فبعد ان اطلع على هذه الكتب جميعها نقحها واستخرج اهم ما فيها ووضع في ذلك التآليف والكتب والف ايضا في صناعة السيمياء . ولي بعده مسلمة بن احمد المجريطي امام اهل الاندلس في التعاليم والسحريات فلخص جميع هذه الكتب وجمعها في كتاب سماه "غاية الحكيم" ولم يتطرق احد بعده في البحث في هذا العلم .(٣٢)

---

(٣٢) ابن خلدون ، ع . س . ص : ٤١٦

ينتقل ابن خلدون بعد ذلك في البحث في حقيقة السحر فيقول ان النفوس البشرية على انواع • فكل انسان له صفاته الخاصة ولا يمكن الا وان يختلف كل واحد عن الاخر فنفوس الانبياء لها خاصية تستعد بها للمعرفة الربانية ومخاطبة الملائكة • ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع على المغيبات وهكذا فكل صنف مختص بخاصية لا توجد في الاخر • وقد قسم النفوس الساحرة الى ثلاث : اولها النفوس المؤثرة بالهمة من غير مساعدة وتسمية الفلاسفة السحر • واما الثاني فنفوس مؤثرة بمساعدة الافلاك او العناصر او خواص الاعداد ويسمونه الطلسمات • واما الثالث فنفوس تؤثر في القوى المتخيله يعمد صاحب التاثير اليها بالقائه فيها انواعا من الخيالات والمحاكاة ثم ينزلها الى الحس للناظرين بقوة نفسه المؤثرة ويسمى هذا الشعوذة او الشعبذة •

ويعتبر ابن خلدون السحر كفرا لان الساحر يلجاء الى الافلاك والكواكب والشياطين بالتعظيم والخضوع والعبادة فهي لذلك وجهة الى غير الله وهذا من الكفر •

وقد اختلفت نظرية العلماء الى السحر من جهة انه حقيقة ام هو تخييل ، فمنهم من اعتبره حقيقة وهؤلاء نظروا الى المرتبتين الاوليين وهما السحر والطلسمات ومنهم اعتبر انه تخييل وهؤلاء نظروا الى المرتبة الثالثة وهي الشعوذة • وابن خلدون يعتقد بانه لا يوجد اثر من السحر على العقلاء معتمدا على ذلك بما جاء في القرآن بان الشياطين علموا السحر للانسان وبذلك كفروا •

ويعطي ابن خلدون بعد هذا امثالا عن كيفية استعمال السحر عند البابليين والكلدانيين ويذكر الادوات التي كانت تستعمل في ذلك من الطيب والزيت وانواع المحلول وغيرها • ثم يعطي راى الشريعة بهذه الامور فيقول انها اعتبرت السحر والطلسمات

شيئا واحدا ولم تفرق بينهما لان كلاهما مضر ومفسد للعقيدة الايمانية لذلك خصته بالحظر والتحريم .(٣٣)

١٠ - في علم الكيمياء :

"وهو علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ويشرح العمل الذى يوصل الى ذلك فيتصفحون المكونات كلها بعد امرجتها وقواها لعلهم يعثرون على المادة المستعدة لذلك حتى من العضلات الحيوانية كالعظام والريش والبيض والعذرات فضلا عن المعادن . ثم يشرح الاعمال التي تخرج بها تلك المادة من القوة الى الفعل مثل حل الاجسام اما اجزائها الطبيعية بالتصعيد والتقطير ، وجمد الذائب منها بالتكليس وانهاء الصلب بالقهر والصلابة وامثال ذلك . وفي زعمهم انه يخرج بهذه الصناعات كلها جسم طبيعي يسمونه الاكسير وانه نلقي منه على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب او الفضة بالاستعداد القريب من الفعل مثل الرصاص والقصدير والنحاس بعد ان يحمى بالنار فيعود ذهبا ابريزا . ويكنون عن ذلك الاكسير اذا الغزوا في اصطلاحاتهم بالروح وعن الجسم الذى يلقى عليه بالجسد . فيشرح هذه الاصطلاحات وصورة هذا العمل الصناعي الذى يقلب هذه الاجساد المستعدة الى صورة الذهب والفضة هو الكيمياء .(٣٤)

بعد هذا التحديد الطويل لعلم الكيمياء يذكر ابن خلدون الذين الفوا في هذا العلم قديما وحديثا بالنسبة لعصره ويذكر بعض اسماء الكتب والرسائل في ذلك ثم يشرح بعضا منها تحت ما سموه علم الكيمياء .

---

(٣٣) ابن خلدون ، ع . س . ص : ٥٠٣

(٣٤) ع . ن . ص : ٥٠٤

١١- في علوم اللسان العربي :

اركان هذه العلوم هي اربعة : اللغة والنحو والبيان والادب .

يقول ابن خلدون انه لا بد لمن اراد الالمام بعلم الشريعة من ان يتعلم هذه الاركان من اللغة العربية لان العلوم الشرعية ماخوذة من الكتاب والسنة وهي موضوعة في لغة العرب . واهم هذه الفروع الاربعة هو النحو ، لانه يبين اصول المقاصد بالدلالة فيعرض الفاعل من المفعول والمبتداء من الخبر ولا بد لدارس العربية من الالمام به ذلك لانه لا يستطيع فهم الادب بدونه .

بعد ان يحدد ماهية كل ركن من هذه الاركان يتحدث عن تاريخ تطورها وعن كيفية استخدام الاقدمين لها واساليبهم المختلفة في العصور الاسلامية . ثم يذكر اهم من اشتهر بها كسيبويه وغيره .(٣٥)

يقول ابن خلدون ان اللغة السائدة في عصره انما هي نابية عن قواعد العربية واوضاعها ، ومغايرة لصحيحها . واللغة ملكة لذلك وجب تعلمها واجادتها . ولكي يحصل المتعلم على هذه الملكة عليه ان يتبع الخطوات التالية :-

١- ان يبدأ المتعلم باللغة الفصحى ، لينطبع عليها لسانه وفكره ، فلا يحرف ولا يصحف ولا يلحن . " وانك لتجد سكان الامصار اشد افراقا في اللحن من سكان البوادى " . وسبب ذلك ان اهل الامصار تعلموا اول امرهم لغة ملحونة ، مغايرة لقواعد اللغة العربية ، منافية لملكتها ، لذلك فسدت لغتهم .

---

(٣٥) ابن خلدون ، تاريخ العلامة ابن خلدون ، ص : ١٠٢٤

٢ - على المتعلمين ان لا يتوهموا ان تعلم النحو وحده هو الوسيلة الوحيدة الى صحة العبارة ،لان اللغة الفصحى لا تدرك ادراكا صحيحا الا بمخالطة العرب الفصحاء والاستماع اليهم ، والتدرب والتمرين على التحدث باساليبهم ، لان اللغة ملكة ، والملكات لا تكتسب الا بالتكرار والتمرين .

٣ - ان يحفظ من القرآن والحديث ومما خلف العرب من شعر ونثر قدرا يقوم لسانه ويخوله لكسب الملكة ، حتى يصير لكثرة حفظه كانه قد نشاء فيهم .

٤ - ان ياخذ نفسه بالتعبير عما يريد ،على نهج الاساليب العربية لانه كثرة الحفظ والاستعمال تجيد كلامه .

٥ - لا بد للمتعلم الى جانب ما ذكر من سلامة الطبع ، وفهم منازع العرب واساليبهم ، وطرق تراكيبهم . ثم لا بد له من ذوق راق يميز الكلام الجيد من الردئ ، والبليغ من الفاتر .

٦ - يشترط ابن خلدون في تعليم النحو ان يصحب بتطبيق ،لان تعلمه من غير تطبيقه عبث ، والفرق كبير بين الملكة اللغوية والصناعة اللغوية . فمن كانت لديه ملكة في اللغة وليست عنده صناعة لغوية فهو كمن يعرف صناعة يدوية معرفة نظرية لكنه لا يجيدها عمليا . ويقرر ايضا ان الذين يدرسون النحو مجردا من شعر العرب ونثرهم يحصلون على العلم صناعة لا ملكة .(٣٦)

يعتبر راى ابن خلدون في تعليم اللغة وجيها وبيئا اذا انه يتفق والتربية الحديثة ،لاننا بالتقليد نتعلم اللغة صغارا ونجيدها كبارا .

---

(٣٦) ابن خلدون ، م . س . ص : ١٠٤٠ ، ١٠٤١

فالتقليد والتمرين ، وجودة التركيب وصحة النطق هي ولا شك اسس ثابتة لتعلم اللغة • فقد راى فثرينو زعيم التربية الادبية في ايطاليا ان احسن وسيلة لتعلم اللغة اللاتينية للاطفال ان يبدأوا بها منذ الطفولة ، يتفاهمون بها ، ويتحدثون مع اساتذتهم على انه من الواجب على هؤلاء الاساتذة ان يهتموا ويعتنوا بتجديد نطقهم والقائهم • كذلك لوثر فانه نصح المعلم ان يحمل الطفل على جودة المنطق وصحته ، بل وآثر هذه العناية على عنايته بتدريس القواعد • والتربية الحديثة تعنى كل العناية على التطبيق ، لان دراسة القواعد والبلاغة لا تجدى ما لم تقترن بتمرينات ، وتعنى ايضا على تعليم القواعد النحوية والبلاغية في اساليب رائعة وعبارات متنوعة .(٣٧)

---

(٣٧) احمد الحوفي ، مع ابن خلدون ، ص : ٧٧

ترتيب العلوم حسب اهميتها

رتب ابن خلدون العلوم حسب اهميتها للمتعلم وقسمها الى اربعة اقسام ووضع كل قسم منها في مرتبة مناسبة لضرورته وفوائده واسبقيته على غيره • اما هذه الاقسام فهي :

١ـ العلوم الشرعية بانواعها •
٢ـ العلوم الفلسفية كالطبيعيات والالهيات •
٣ـ العلوم الالية المساعدة لعلوم الدين كاللغة والنحو وغيرها •
٤ـ العلوم الالية المساعدة للعلوم الفلسفية كالمنطق •

وقد وضع ابن خلدون القسمين الاولين وهما العلوم الشرعية والعلوم الفلسفية في مرتبة واحدة وسماها بالعلوم المقصودة بالذات ، الا انه فضل العلوم الشرعية على العلوم الفلسفية لانها علوم "معصومة" ولانها تسد حاجات الانسان الحقيقية • وقد وضع اولا العلوم "الالية" المساعدة لعلوم الدين ثم تليها العلوم الالية المساعدة للعلوم الفلسفية • وقد نصح ابن خلدون بالتوسع في دراسة العلوم المقصودة بالذات ذلك لانها تساعد على فهم المادة وتسهيل حفظها •

اما العلوم الالية المساعدة للعلوم الشرعية والفلسفية فانه نصح بالا تدرس الا من حيث هي آلة لغيرها من العلوم • ويعطي على ذلك مثلا فيقول ان من يحاول التبحر في علم النحو مثلا قد يمضي حياته كلها دون الوصول الى تحقيق هدفه وقد يؤدي بالدارس الى الاحساس بالنقص والشعور بالفشل ذلك لانه لم يبلغ تحقيق ما عزم عليه • والافضل ان يلم المتعلم بالعلوم عموما الى حد ما حتى يكون تعليمه اوسع واشمل ، ويكون لديه الوقت الكافي للتعمق في دراسة العلوم المقصودة اذا سنحت له الفرصة فيما بعد •

ثم يستطرد قائلا بان الغاية من التعليم والالمام بالعلوم المختلفة ليس اعداد الاخصائيين في نواحي العلوم الضيقة بل هو وسيلة لاعداد التلاميذ لحياة طيبة جيدة .(٣٨)

مما يجدر ملاحظته هنا ان ابن خلدون بالرغم من انه اعتبر علم التاريخ من اهم العلوم التي يلزم ان يدرسها جميع الناس مهما كانت طبقاتهم والتي يتساوى في فهمها المتعلم وغير المتعلم ، لم يذكر هذا العلم لا تحت العلوم العقلية ولا تحت العلوم النقلية . وقد عامل ابن خلدون علم الجغرافيا وتقسيم الاقاليم وما يدخل في هذا الباب بالمثل فلم يدرجه ضمن اقسام العلوم المذكورة ايضا .

يتضح لنا من تقسيم ابن خلدون للعلوم على انه اتجه اتجاهات معينة في تفكيره يستوجب الاشارة اليها :-

اولا - اتجاه نحو عدم التفريق بين العلم النظرى والعلم العملي ذلك انه يقول ان كل صناعة او كل عمل يستدعي اكتساب مهارة فيه لا يمكن ان يتم الا بواسطة القوى العقلية والجسمانية معا ، وبهذه النظرية يتفق واحدث النظريات التربوية الحديثة .

ثانيا - اتجاه نحو ايجاد التوازن بين علوم الدين والعلوم العقلية . ومع انه يضع العلوم الدينية في المقدمة من حيث فائدتها للمتعلم ومساعدتها له في أن يحيا حياة فضيلة غير انه يضع العلوم العقلية ايضا في موضع يوازى موضع العلوم الدينية وذلك لان العلوم العقلية هي ثمرة العقل البشرى الذى منحه الله للانسان وميزه عن غيره من [illegible] .

---

(٣٨) ساطع الحصرى ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٥٩

ثالثا - يتجه ابن خلدون اتجاها آخر اختلف عما سبقه من التربيين المسلمين وذلك انه جعل كسب العلوم وتعليمها وسيلة للارتزاق بينما ان الغزالي اعتبر ذلك عملا شائنا .

رابعا - يتجه في رأيه نحو جعل التعليم عاما شاملا لنواحي المعرفة المختلفة ويمنع ان يتخصص الانسان في مجال واحد ضيق . وهذا التفكير ايضا هو من احدث الاراء التربوية الجديدة .

اما عن كيفية تدريس العلوم للاطفال فانه ينصح بعدة اشياء :-

١- ينصح بعدم الاكثار من العلوم التي تدرس للاطفال لانها تضر بتقدمهم العقلي ولان ذلك فوق طاقتهم . وقد يسبب ذلك عجزا عن الالمام به فيتولد عندهم الشعور بالنقص وهذا يضر في بناء شخصيتهم .

٢- ويقول ايضا ان من الطرق الواجبة في التعليم ان لا نخلط على المتعلم علمين معا . فانه حينئذ قل ان يظفر بواحد منهما ، لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما بالخيبة . واذا تفرغ الفكر لتعلم ما هو بسبيله ، مقتصرا عليه ، ربما كان ذلك اجدر لتحصيله" .

٣- "ان كثرة التاليف في العلوم عائقة عن التحصيل" من يقراء هذه العبارة لاول وهلة يجدها غريبة . ولكننا اذا تنبهنا الى عصر ابن خلدون وما كان يدرس فيه نجد انه كان يحتم على الطلاب درس وحفظ جميع تلك المؤلفات ، واحدا بعد آخر .

٤- ينصح ابن خلدون بان تعطي الاهمية الكبرى في تعليم اللغة العربية وتجعل اساسا لكل علم وذلك ليتدرب الطفل على اجادة التعبير عن افكاره وعلمه باتقان الكتابة ودقتها . ثم يقول بان تقديم القرآن والعلوم الدينية على اللغة العربية من شانه ان يخلط الامر على الصبي فيقرأ

ما لا يفهم ويخلط المعاني .

٥ - ينصح ابن خلدون بتدريس العلوم المختلفة باللغة الاصلية لان التدريس باللغة الاجنبية يعتبر عاملا معطلا لانه لا يمكن للمتعلم ان يحذق فنين في وقت واحد . كما وان دقة التعبير لازمة في دراسة العلوم المختلفة وذلك لا يتم اذا لم يكن المتعلم متمكنا من اللغة التي يستعملها فيسهل عليه الفهم وعلى المعلم التفسير .

٦ - ينصح ابن خلدون ايضا بعدم تعليم الاطفال علم المنطق لتعديه على التفكير الصحيح ، ذلك ان ما لا يفهمه الصغير يجب ان لا يتعلمه الا عندما ينضج عقله وتفكيره . ويطبق هذه الطريقة ايضا على الدين والقرآن .

٧ - عندما تكلم ابن خلدون عن الفلسفة بفروعها المختلفة والميادين التي تبحث فيها وصفها بانها علوم " عارضته في العمران كثيرة في المدن ، وضررها في الدين كثير فوجب ان يصدع بشانها ويكشف عن المعتقد الحق فيها " وليس من فائدة في الفلسفة الا من حيث هي مساعدة على تنظيم التفكير . فهو بذلك يناقض نفسه اذ انه اعتمد على الفلسفة في كثير من فصوله ليثبت نظرياته الاجتماعية . والى جانب الفلسفة فقد اعتبر ابن خلدون ان بعض العلوم مثل "علم النجوم " والكيمياء وعلوم السحر والطلسمات علوما فاسدة واضرارها كثيرة .

الفصل الثالث

لمحة عن تاريخ التربية الاسلامية

لمحة عن تاريخ التربية الاسلامية

لم يكن غرض المسلمين من التربية دنيويا محضا كما كان عند اليونان والروم مثلا ، ولم يكن دينيا محضا كما كان عند الاسرائليين في الصدر الاول ، وانما كان غرضهم دينيا ودنيويا معا • فقد كانوا يبغون اعداد المرء لعملي الدنيا والاخرة • اما مصطفى امين فانه يقول معلقا على ذلك بان غرض التربية عند المسلمين كان تهذيب النفوس وتحصيل الفضيلة ، يدل على ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم ارسل لهداية الناس وتاديبهم بآداب القرآن فكان اول معلم في الاسلام • وقد اثر عنه انه قال "بعثت لاتمم مكارم الاخلاق" • (٣٩)

اما الدكتور اسعد طلس فانه يقول : "لقد اختلف المؤلفون المسلمون وغير المسلمين في بيان الاهداف التي قصد اليها الاسلام من وراء حضه على العلم • فمنهم من قال ان اهدافه من وراء ذلك هي احياء شعائر الاسلام والقيام بفروضه لا غير ، ومنهم من قال ان اهداف الاسلام من التعليم هي اهداف دينية ودنيوية معا • ومنهم من قال ان وراء الهدفين الديني والدنيوي هدفا ثالثا وهو هدف اللذة الروحية من العلم ، وذلك الهدف هو الذي يدفع صاحبه الى التعلم والبحث لا لشيء سوى البحث لا والتعلم لذاتهما مكتفيا بلذة البحث عن الحقيقة والتفتيش عن دفائن المعرفة • وبعد ان يستعرض مختلف الاراء والاقوال الكثيرة بصدد ذلك يذهب الى القول بان كلها تدل على ان للعلم اهدافا غير الاهداف الدينية منها اهداف دنيوية واجتماعية ، ومنها اهداف سامية لا يبغي منها صاحبها الا العلم نفسه ، وهذا كان هدف عشرات من العلماء الذين بذلوا اعمارهم في سبيل

---

(٣٩) مصطفى امين ، تاريخ التربية ، ص : ١٧٧

العلم والبحث ولم يقبلوا عليه اجرا ولا وظيفة ولا اباحوا لانفسهم ان يقبلوا درهما ولا دينارا في سبيل العلم والبحث امثال عشرات من الصحابة والتابعيين".(٤٠)

نشأة التعليم في الاسلام

كانت الدعوة الاسلامية صاحبة الفضل الاكبر في خلق الحركة العلمية والتعليمية في المجتمع العربي • فقد حض الاسلام على العلم وامر بالتعلم • والايات القرآنية الواردة في هذا الشأن كثيرة متعددة ، وكلها ترفع قدر العلم وتعلي شأن العلماء وتمجد العقل والمعرفة •

ولما كان الاسلام هو النظام الموجه للحياة عند المسلمين بكافة مظاهرها فقد كان الالمام به ودراسته امرا لا بد منه لافراد الجماعة الاسلامية • والتعليم اول الوسائل لنشر الفكرة الاسلامية بين المؤمنين بها وشرحها لهم • ومن ثم كان التعليم امرا لازما للدعوة الاسلامية لتحقيق التربية الصحيحة التي تهدف اليها بحيث تتلاءم حياة الافراد مع المجتمع الجديد والدين الجديد •

ومن هذه النقطة بدأت فكرة التعليم في الاسلام لنشر الدعوة • ثم ان فكرة التعليم اختلطت في الاسلام بفكرة الوعظ والارشاد الديني حتى انه يمكننا اعتبار التعليم في القرن الاول للهجرة نوعا من المواعظ الدينية بغية تعريف الناس بدينهم واحكامه • فلا عجب اذا ان يتخذ التعليم في هذا الدور التكويني من حياته من المسجد موطنا له ومركزا يقيم به • وسرعان ما اصبح المسجد المركز الرئيسي للتعليم في المجتمع الاسلامي .(٤١)

---

(٤٠) اسعد طلس ، التربية والتعليم في الاسلام ، ص : ١٤٤

(٤١) محمد عبد الرحيم غنيمه ، تاريخ الجامعات الاسلامية ، ص : ٢٥

مراحل التعليم عند المسلمين : -

لقد تغيرت المراحل التعليمية عند المسلمين مع تطور الحضارة الاسلامية ، واختلاف العصور وتقدم الدول وتاخرها • كان التعليم كما قال احمد امين في كتابه "ضحى الاسلام" مرحلة تبتدئ بالكتاب او بالمعلمين الخاصيين وتنتهي بان تكون حلقة بالمسجد • ثم تطور التعليم من حلقات المساجد ، الى مدارس منظمة حبست عليها الاوقاف لضمان حياتها • وبدا هذا التطور في القرن الرابع الهجرى في زمن الفاطميين ، وازدهرت المدارس في عصر الدولة الايوبية والمماليك ثم تدهورت بعد ذلك •

وكانت كتب العلم الجليلة الشان توقف على هذه المدارس ليستفيد منها الطلاب والمدرسون •(٤٢)

ويرى الاستاذ خليل طوطح ان التعليم مر في المراحل الاتية : -

١- المكتب او الكتاب
٢- الجامع
٣- مجلس العلم او مجلس الادب
٤- المدرسة او الكلية •

سن التعلم : -

واما فيما يتعلق بالسن الدراسية فانه يروى عن الرسول (ص) انه قال "اطلبوا العلم من المهد الى اللحد" • وعلى هذا فلم تكن هناك سن محدودة لطلبة العلم ، بل كان كل مسلم يدرك ان من واجبه ان يطلب العلم ما اتيح له ذلك في اى فترة من فترات عمره ، حتى ولو كان شيخا تقدمت به السن • ومع هذا فقد كان المربون المسلمون يدركون ان التبكير في تلقي العلم كبير الفائدة وعظيم الجدوى لنشاط

---

(٤٢) احمد فؤاد الاهواني ، التربية في الاسلام ، ص : ٥١

الجسم ، وصفاء النفس وفراغ البال • ولذلك نجد ان اقبال الطلاب على حلقات العلم وهم في سن مبكرة ساعدهم على الخدمة في كثير من العلوم ووصلوا بذلك الى مراكز علمية مرموقة وهم في مطلع الشباب ومقتبل العمر .(٤٣)

تصوير حالة التعليم :-

يبعث الصبي في اول الامر الى الكتاب اذا عقل • ولقد كانت هذه الكتاتيب منتشرة في انحاء المدن والقرى ، فاحيانا تكون الى جوار المساجد واحيانا بعيدة عنها ولكنها لا تكون في داخلها •

ويقوم بتعليم الكتاب معلم ، وقد يشترك معلمان او اكثر في التعليم اذا ازداد عدد الصبيان •

يفتتح المعلمون هذه الكتاتيب دون ان يكون للحاكم منها امر او نهي ، ويدفع الاباء ابنائهم حسب رغبتهم ويتلقى هؤلاء الابناء التعليم مقابل اجر يدفعونه الى المعلم شهريا او سنويا او بمقدار ما يتعلم الولد •

ولقد كانت هذه الكتاتيب امكنة متواضعة تتسع لعدد الصبيان الذين يشرف عليهم معلم واحد وربما كانت حانوتا او منزلا في بعض الاحيان .(٤٤)

يتعلم الصبي اثناء دراسته التي قد تستمر الى وقت البلوغ او بعده بقليل القرآن والكتابة والنحو والعربية • وقد يتعلم الى جانبها الحساب والشعر واخبار العرب • فاذا اخطاء الصبي في الكتابة والهجاء والحفظ ، او اهمل او انصرف الى اللعب والعبث دون الدرس والعلم ، او هرب من الكتابة ، عاقبه المعلم بالنصح اولا ، والتهديد ثانيا ، والضرب اخيرا اذا لم تنجح نصائحه وتهديده له •

وبعد ان يتم الصبي مرحلة التعليم في الكتاب ، يجرى امتحانا فيما

---

(٤٣) احمد شلبي ، تاريخ التربية الاسلامية ، ص : ٢٨٨

(٤٤) احمد فواد الاهواني ، التربية في الاسلام ، ص : ٥٢

حفظ من القرآن وفي الكتابة • واختبار حفظ القرآن كله يعرف بالختمة • وبعد الامتحان يقرر اما ان يتابع دراسته ويتجه الى مرحلة تعليمية ارقى من الاولى او يتجه الى الصناعة التي توفر له كسب العيش •

فالكتابة والمعلم والصبي والقرآن هي الاسس الاربعة التي كان يقوم عليها التعليم الاولي كما يروى الاهواني عن القابسي الذى يمثل الصورة العلمية الصحيحة في القرن الرابع الهجرى او العاشر الميلادى •(٤٥)

مناهج واساليب المسلمين في التعليم :-

كان القرآن عند المسلمين منبع الدين واساس العلوم الاسلامية ولذلك جعلوه اصلا في التعليم واساسا في التربية • وليس هناك من اختلاف على ذلك ، انما حصل الاختلاف في مناهج التعليم ومواده بالنسبة لاختلاف الامصار •

ففي المغرب كانوا يقتصرون في تعليم اولادهم على مدارسة القرآن ، ولا يخلطون ذلك بشيء اخر من حديث او فقه او شعر او اخبار حتى يحذقها الولد • ويسيرون على هذه الخطة مع الكبار ايضا فيراجع مدارسة القرآن ايضا ولذلك كان اهل المغرب اقدم على رسم القرآن وحفظه من سواهم •

اما اهل الاندلس فهم الى جانب تعليمهم القرآن يضيفون اليه رواية الشعر والترسل وقوانين العربية ورواية الاخبار والكتابة وتجويد الخط وكذلك الحساب وتقويم البلدان •

اما اهل المشرق (العراق وما جاورها من البلاد الاسلامية) فكانوا ينوعون كاهل الاندلس ، الا انهم يختلفون عنهم من جهتين • فقد كانت عنايتهم بمدارسة القرآن تفوق عنايتهم بالعلوم الاخرى • وان الخط لم يكن من الفنون التي يقرن تعليمها بتعليم القرآن ، وانما كانت له معاهد

---

(٤٥) احمد فؤاد الاهواني ، التربية في الاسلام ، ص: ٥٣

ومعلمون على انفراد كسائر الصناعات .

اما مناهج الدراسة في المدارس العالية ، فقد كانت غاية في الرقي والتقدم ، ذلك انها كانت تشمل غير العلوم الشرعية واللسانية الحساب والهندسة وحساب المثلثات والطبيعيات والفلك وعلوم الحياة والطب والتشريح والمنطق والالهيات . وكان كل علم من هذه العلوم يدرس دراسة عملية متقنة تبث في متعلميها روح البحث والتنقيب ، وتقودهم الى الجليل من اعمال الكشف والاختراع .(٤٦)

تكافؤ الفرص في التعليم :-

كانت فرص التعليم في العالم الاسلامي مكفولة للغني والفقير على حد سواء ، والفقر لم يقف عائقا امام الراغب في العلم او الساعي لارتشاف المعرفة .

والتعليم الاسلامي ابتداء في اول الامر بالمسجد . وكان مفتوحا للناس جميعا وكانت حلقاته معدة لاستقبال الطلاب لتعليمهم بالمجان دون قيد او شرط . وعلى المدرس الا يكون في مجلسه مكان مميز لاحد من الناس ، بل ان يكون الجميع عنده سواء . وعليه ايضا ان يعامل الفقير معاملة الغني . وقد كان الطلاب بدورهم يفهمون هذه الناحية فهما صحيحا ويعملون بحسبها .(٤٧)

وكانت توجه عناية خاصة للطلاب الموهوبين الذين تبدو عليهم علائم الذكاء والفطنة . وكان يعد من الظلم ان يحرم طالب نابغ من تلقي العلم لاى سبب كان من الاسباب . وكانت عناية المدرسين بتلاميذهم الفقراء تصل بهم الى حد الانفاق عليهم من مالهم الخاص . ولم يكن المدرسون وحدهم هم

---

(٤٦) مصطفى امين ، تاريخ التربية ، ص : ١٧٩

(٤٧) احمد شلبي ، تاريخ التربية الاسلامية ، ص : ٢٧٨

الذين اتجهوا برعايتهم للطلاب الفقراء بل حظي هؤلاء بنصيب موفور من اوقاف الاغنياء على الطلاب • وكان لهذا كله اثر كبير في حالة التعليم الاسلامي اذ ظهر من بين المسلمين عدد كبير من العلماء الافذاذ الذين ينتمون الى طبقة الكادحين الفقراء من الشعب منهم : ابو تمام الطائي الشاعر المعروف ، والجاحظ ، والامام الشافعي وغيرهم •

ولما انشئت المدارس في العالم الاسلامي كانت فرصة الفقير لتلقي العلم اوضح واشمل لان منشئي المدارس كانوا يعلمون ان اغلب النابغين في العلم هم من الفقراء • ولقد اتسعت هذه الفرص عندما اعلن نظام الملك ان التعليم بمدارسه حق للجميع • ولم تكن اتاحة الفرص مكفولة فقط في المدارس والمساجد ، وانما كانت مكفولة ايضا في الكتاتيب حتى يستطيع التلميذ ان يتابع طريقه في طلب العلم .(٤٨)

توجيه التلاميذ على حسب مواهبهم :-

عرف المسلمون في العصور الوسطى فكرة توجيه التلاميذ على حسب مواهبهم ، وكانت عملية التوجيه هذه تبدأ بعد ان يجتاز التلميذ المرحلة الاولى للتعليم وهي ان يعرف شيئا من العلوم الضرورية في الحياة كالقراءة والكتابة والحساب • ثم عليه بعد ذلك ان يتجه الى العلم او الحرفة حسب استعداده وتكوينه •

وينبغي للطالب كما يقول الزرنوجي الا يختار نوع العلم بنفسه بل يفوض امره الى الاستاذ فهو اعرف بما ينبغي لكل واحد وما يليق بطبيعته •

وفي منهاج المتعلم يقرر انه يجب على المعلم ان يشخص طبيعة المبتدئ من الذكاء والغباوة ويعلمه على حسب طاقته ولا يكلفه فوق ذلك

---

(٤٨) احمد شلبي ، ع • س • ص : ٢٨٤

لانه اذا كلف ئيس عن تحصيل العلم .

ويقول احمد شلبي : "واذا غلبت القوة البدنية على النفس يحتاج المتعلم الى زيادة التعلم وطول المدة ، واذا غلب نور العقل على اوصاف الحس يستغني الطالب بقليل التفكير عن كثرة العلم " . وعلى هذا فان من واجب المدرس " الا يشرك الذكي مع الغبي في التلقي فهو تقصير في الذكي وارهاق للغبي " .(٤٩)

كان العربون يعتمدون على التجربة في طرق اختبارات الذكاء ، فهم يعلمون الطفل ثم يحكمون عليه بمقدار النتيجة التي يستطيع ان يحصل عليها . كما كانوا يختبرون ذاكرة التلميذ ليروا ميله الى الحفظ ، او التعمق والتفكير ، فان كان يميل الى الاولى فليدرس علم الحديث ، وان كان يميل الى الثانية فليدرس الفلسفة والمناظرة وعلم الجدل والكلام .

واذا وجه التلميذ او التحق بحلقة دون توجيه ، وراى المدرس في هذه الحالة او تلك ان التلميذ ينبغي له ان يفارق هذه الحلقة الى سواها ، فان المدرس لا يتردد في أن يخبر التلميذ بهذه النتيجة وينصحه بتغيير الموضوع الى موضوع اخر .(٥٠)

المؤسسات التعليمية

كانت المساجد والكتاتيب وبعض الاماكن العامه والخاصة هي المؤسسات العلمية الاولية عند العرب في عهد رسول الله وخلفائه الراشدين ، وفيها كان المسلمون الاولون يتلقون ايات الكتاب المبين ، وعلم الفرائض والدين وكان العلماء والمتعلمون يتذاكرون في المسجد النبوى بالمدينة ، والمسجد

---

(٤٩) احمد شلبي ، ع . س . ص : ٢٨٧

(٥٠) ع . ن . ص : ٢٨٨

الحرام بمكة ، والمساجد الاخرى في سائر العالم الاسلامي وفي الدور والمجالس انواعا مختلفة من العلم من دين وادب وتاريخ وسير ومواعظ وعبر .

ولما انتقلت الخلافة الاسلامية الى بني امية انشئت الى جانب تلك المواسسات العلمية مواطن جديدة للتعليم وهي قصور الخلفاء والامراء . وكانت هذه القصور والدور عونا لتلك الاماكن العامه والخاصة في نشر العلم وتسهيل سبل تعليمه وتعميمه . فقد كانت تعقد فيها كثير من حلقات الاداب والعلوم والفقه والحديث والحكمة ، كما كانت تقام بعض الحلقات العلمية في بعض الطرقات والاسواق . وقد ظلت هذه الاماكن جميعا من مساجد وخزائن وكتب وقصور ودور وطرقات مراكز الحركة العلمية في البلاد الاسلامية منذ فجر الاسلام الى ان ظهرت المدرسة بمعناها الصحيح في اواخر القرن الرابع للهجرة .(٥١)

نشوء الجامعات :-

شعر العرب بضرورة التعليم الجامعي في تدريس علومهم الخاصة . وكان لهم في الاختبار السابق اساليب افادوا منها في انشائهم التعليم الجامعي . ومناهج رسموها في العرض والتعليق . وكان هدفهم الاول التعليم الديني اصولا وفروعا . كما فعل ارباب المدارس القديمة من قبلهم ومنشئو الجامعات الاوروبية في القرون الوسطى . وكان لا بد من الابتداء بالدروس اللغوية النحوية والادبية منظمة حينا في معاهد خاصة من نوع المدارس الابتدائية والثانوية . ومطلقة احيانا في الحلقات والمجالس ، يعقد اما في المساجد او في دور خاصة . وقد انتشرت هذه الحلقات في العصر العباسي منها حلقات القصاصين يروون اخبار الانبياء وقصص الامم ، ومنها حلقات المفسرين يجتهدون في الشرح والتاويل عاملين على حل بعض المشاكل

---

(٥١) محمد اسعد طلس ، التربية والتعليم في الاسلام . ص : ٥٤

اصلا وفعلا ، ومنها مجالس النظر والمناقشة في مختلف انواع المعرفة لغة ونحوا وكلاما . (٥٢)

اما المدارس البادية على شيء من التنظيم ، فقد عرفت منذ اوائل العهد الاموي في مدن وقرى عديدة . وطبيعي ان ترتقي هذه المدارس شيئا فشيئا ، فتتمايز علوم العربية متفرعة الى قواعد الصرف والنحو ، ثم البيان ، والفصاحة ، والبلاغة ، والخطابة ، والعروض ، والادب من شعر ونثر .

لقد كان العلم الديني موضوع التعلم ، وكان على ما يبدو محور التعليم الجامعي فيتناول : القرآن ، القراءات والتفاسير ، الحديث ، الاصول ، الفروع ، سيرة الرسول والابحاث الكلامية على مختلف وجوهها .

واما ما سوى هذا "العلم" الديني ، كالطب والرياضيات والفلسفة والفلك ، فكان العرب يسمونه "بالعلوم القديمة" او "علوم الاوائل" او "علوم الحكماء" ، ثم "بالعلوم الدخيلة" على نحو ما جاء في "الفهرست" ، "وطبقات الامم" "وتاريخ مختصر الدول" . ولم يكن مجال لتدريسه اول الامر في المدارس الجامعية الا ما تعلق منه من مواد المنهاج الديني كالحساب بالنسبة للفرائض في علم المواريث . (٥٣)

هناك ثلاث جامعات كان لها اهمية كبرى في العالم الاسلامي ، بالنسبة لباقي المدارس الكبرى . وهي الازهر بالقاهرة والنظامية والمستنصرية في بغداد .

أ - الازهر : -

دعي كذلك تيمنا باسم فاطمة الزهراء ، جدة الفاطميين خلفاء مصر . وقد انشاه سنة ٩٧٠ المعز لدين الله ، فاتح مصر وباني القاهرة ، على يد قائد جيوشه جوهر الصقلي ، انشأه مسجدا للصلاة ،

---

(٥٢) فؤاد افرام البستاني ، "الجامعة في العالم العربي" ، الابحاث . ص : ١٩٥

(٥٣) ع . ن . ص : ١٩٦

ومركزا ثقافيا تعليميا لتدريس مبادئ الشيعة ونشر الدعوة الفاطمية .

ثم اتسعت المهمة التدريسية ، فعين لها عدد من الاساتذة وافردت لهم المساكن الخاصة قرب الجامع منذ سنة ٩٨٨ بناء على طلب الوزير يعقوب بن كلس .

وقد انحصر التدريس في بادئ الامر بشكل محاضرات عامه تلقى مرتين في الاسبوع . ثم تناول دروسا منظمة تعقد في سبيلها مجالس للبحث والمناقشة في الجامع او قصر الخلافة . وكان قاضي القضاة يراس بعض هذه المجالس كما ان داعي الدعاة كان يراس المجالس الخاصة باعداد المبشرين . كما انه كانت تعقد مجالس خاصة في الازهر للنساء .

ولما انتشر خبر ذيوع الازهر ونجاحه قلق السلاجقة لذلك وقرروا ان يواجهوا الامر بمثله . فانشاء ملكهم نظام الملك المدرسة النظامية في بغداد التي كانت الغاية الاولى منها مقاومة الازهر . وقد ظل الازهر يزدهر ويمثل امته دعامة للثقافة الفاطمية واكبر مدرسة دينية للشيعة في العالم الاسلامي حتى سنة ١١٧١ عندما قضى صلاح الدين الايوبي على خلافة مصر واسس الدولة الايوبية واقر السنة مذهبا رسميا للدولة الجديدة . عندها اقفل الازهر لكنه فتح من جديد كمدرسة لتدريس المبادئ السنية على المذهب الشافعي . ثم اضيفت سائر المذاهب السنية الى منهاج التدريس وادخلت فيها العلوم التمهيدية من لغة ونحو ومعان وبيان . واخذ الطلاب يتقاطرون اليه من مختلف البلاد الاسلامية وبلغ اوج مجده في القرون الوسطى حتى اواخر القرن الرابع عشر . ثم بداء بالانحطاط شيئا فشيئا ثم تغير حاله الى ما هو عليه الان .(٥٤)

---

(٥٤) فؤاد افرام البستاني ، م . س . ص : ١٩٨

ب - المدرسة النظامية :-

انشأها في بغداد ابو علي الحسن بن علي بن اسحق الطوسي المعروف بنظام الملك . وكانت غايته مقاومة الدعوة الفاطمية والمحافظة على السنة بنشر المذهب الشافعي والكلام الاشعرى . افتتحت سنة ١٠٦٧ بحضور الخليفة القائم بامر الله . وسرعان ما ازدهرت وانتشرت فروعها بفضل الحماسة الدينية والاوقاف التي خصصت لاجلها. وكان من عمل نظام الملك في مقاومة الدعوة الفاطمية ، ان انشاء عدة مدارس في مختلف انحاء العالم الاسلامي على غرار النظامية وباسمها . والى جانب كل مدرسة مكتبة عامرة ولكنها ليست كذلك بالنسبة للنظامية الكبيرة .

اما مواد التدريس فكانت : القرآن والعلوم القرآنية ، الحديث وعلومه ومصطلحاته ، اصول الفقه الشافعي ، علم الكلام الاشعرى ، الفرائض والحساب ، العربية وعلومها ، الادب وفنونه .(٥٥)

كان الاستاذ يعين بمرسوم وزارى وكان على الخليفة ان يوافق عليه وذلك بخلعة يخلعها الخليفة على الاستاذ وتكون شعار مهمته الجديدة . وكان على الاستاذ ان يقيم وليمة ابتهاجا بذلك كما وانه يحتفل هو وتلاميذه والادارة بالقاء درسه الاول ، وكان الشعراء يحضرون هذه المجالس احيانا ليتسنى لهم مدحهم وتقديرهم . وقد كان معظم اساتذة النظامية من اقطاب العلم والفضل سواء منهم من اشتهر في العلوم الدينية ومن عرفوا بالتقدم في العلوم الادبية واللغوية كالخطيب التبريزى (١٠٣٠ - ١١٠٩) ، وابن الجواليقي (١٠٧٢ - ١١٤٥) وابي البركات الانبارى (١١١٦ - ١١٨٢) صاحب طبقات الادباء .

ومن تلامذة هذه المدرسة ابن عساكر (١٠٦٧ - ١١٧٥) صاحب تاريخ

---

(٥٥) فؤاد افرام البستاني ، ع . س . ص : ٢٠٠

دمشق الكبير ، والعماد الاصفهاني (١١٢٣ - ١٢٠٠) مؤرخ السلاجقة وابن ابي الحديد (١١١٠ - ١٢٥٨) شارح نهج البلاغة وغيرهم .(٥٦)

ج - المدرسة المستنصرية :-

تعد مؤسسة للتعليم العالي اقرب الى الفكرة الجامعية من حيث اتساع نطاق التدريس ، ومن حيث الهدف الموجه لهذا التدريس . كانت هذه المدرسة تتالف من ثلاث دور ، دار القرآن ، ودار الحديث ، ودار الكتب ، وقاعة فسيحة لتدريس الفرائض والحساب والهندسة . وكان فيها جناح خاص لتدريس الطب والصيدلة واصول الصحة والعلوم الطبيعية . وقد اسسها الخليفة المستنصر سنة ١٢٢٧ في الجانب الشرقي من بغداد في الحي الذى قامت فيه المدرسة النظامية .

ومما امتازت به المستنصرية فوق تخصيص القاعات كلا لتدريس مادة عرفت بها ، نظام دقيق شمل حتى عدد الطلاب المقبولين في كل فرع من الفروع . وكان ذلك منذ تاسيس المدرسة . فان الخليفة المستنصر راى الا يتجاوز عدد طلابها ٣٠٨ ، منهم ١٠ طلاب في فرع العلوم القرآنية ، ١٠ في فرع الطب ، ٣٠ في فرع الحديث ، ٦٢ في فرع كل من المذاهب الفقهية الاربعة . وكان النظام فيها داخليا .

لقد توالت الاحداث والكوارث على المستنصرية كما حدث للنظامية من فيضان دجلة واعتداءات المشاغبين حتى خرجت تماما في اثناء الفتح المغولي سنة ١٢٥٨ . لكن الفاتحين انفسهم اعادوا بناءها بعد مدة ، فاستانفت تدريسها حتى وصول العثمانيين ، فحولوها الى خان كما يبدو اثره الى اليوم .(٥٧)

---

(٥٦) فؤاد افرام البستاني ، ع . س . ص : ٢٠٥

(٥٧) ع . ن . ص . ٢٠٦

خلاصة القول ان هذه المدارس كانت مراكز اشعاع او منبعا تندفع منه الحركة العلمية والثقافية ، فتنتشر في المدن والحواضر المهمة حتى تخلق جوا من الرغبة في البحث والنظر والفهم العلمي الفلسفي اللاهوتي يعود بالخير على الاختصاصيين .(٥٨)

---

(٥٨) فؤاد افرام البستاني ، م . س . ص ٢٠٧

العلم والحركة المدرسية في الاندلس

كانت الاندلس في عهد العرب كعبة العلم يحج اليها اذكياء الطلاب من فرنسا وايطاليا وغيرهما كما يحج اليوم طلاب العلم الى كليات اوروبية مختلفة ٠

كانت الاندلس قبل تغلب بني امية عليها سنة ٩٢ هـ خالية من العلم ، لم يشتهر احد من اهلها بالاعتناء به ٠ الا انه يوجد فيها طلسمات قديمة في مواضع مختلفة ، وقع الاجماع على انها من اعمال ملوك رومية اذ كانت الاندلس منتظمة بملكتهم ٠ ولما استقر الامر لبني امية عني جماعة من اهلها بطلب الفلسفة ونالوا اجزاء كثيرة منها ٠ وفي ايام الامير الخامس من بني امية توجه بعض منهم الى طلب العلوم غير علوم الشريعة واللغة ٠ ولقد كان رجال الدين اصحاب صولة وتاثير فتوهم البعض منهم ان هذه العلوم الدنيوية مدرجة الى الزهد في العلوم الاخروية فكانوا يتنكرون لمن كان يتعاطاها لذلك ظهرت تلك العلوم ظهورا شائعا(٥٩) ٠

واما فيما يتعلق بالمدارس ، فقد انشئت اول مدرسة في غرناطة سنة ٧٥٠ هـ في زمن يوسف الاول من ملوك دولة بني الاحمر تقليدا للمدارس المغربية ٠ وقد وكان لاضطراب الاحوال في الاندلس بعد انقضاء الدولة المروانية بها وما تعاقب عليها بعد ذلك اثر كبير في عدم تهيئة الفرصة للاصلاح والانشاء في تلك البلاد ، وذهبت جهود اهلها وحكامها وفاتحيها من المغاربة في مدافعة النصرانية الغالبة والامارات المسيحية الزاحفة ٠

---

(٥٩) محمد كرد علي ، العلم في الاندلس ، مجلة المجمع العلمي العربي ، ص : ٢٠٣

وقد كان التعليم بالاندلس طيلة حياة الاسلام بها مسجديا بالمساجد الجامعة بحواجز البلاد والمساجد الصغيرة • وفي بعض الحالات كان بعض العلماء يقومون بالتدريس وقراءة الكتب في منازلهم الخاصة .(٦٠) ومن اشهر الجوامع في الاندلس الجامع الاعظم بقرطبة •

بدأ بناءه عبد الرحمن الداخل موسس الدولة الاموية بالاندلس على نمط جامع دمشق سنة ١٧٠ هـ • وكان العصر الاموى بالاندلس ازهى عصور هذه الجامعة فازدهرت بها الدراسات تحت رعاية امراء بني امية وخلفائهم حتى اصبحت اكبر مراكز الفكر الاسلامي بالاندلس وواحدة من قلاع العلم في الدنيا جميعا • ولكن الفتن التي اجتاحت الاندلس بعد سقوط الدولة المروانية ثم سقوط قرطبة فيما بعد في ايدى الاسبان كل اولئك قضى على تلك الجامعة الممتازة • وتحولت بعد ذلك الى كاتدرائية .(٦١)

نبغ في الاندلس عدد كبير من الفلاسفة والادباء والعلماء والمفكرين • ومن اشهرهم في الفلسفة ابو الوليد بن رشد القرطبي وفي علم الموسيقى ابو بكر بن باجة الغرناطي وفي علوم العدد ابوغالب بن عبادة الفرائطي وفي الهندسة الكرماني وفي العلوم ابو الوليد هشام بن احمد بن هشام بن خالد الكناني وفي الفلسفة ايضا ابو بكر محمد بن يحي بن الصائغ المعروف بابن باجة وفي التاريخ ابن حيان وابن خلدون وابن الخطيب وغيرهم .(٦٢)

هذه نظرة موجزة عن حالة العلم في الاندلس وسنذكر الى جانب هذا فيما بعد طريقة اهل الاندلس في تعليم العلوم كما وردت على لسان ابن خلدون في المقدمة •

---

(٦٠) محمد عبد الرحيم غنيمة ، تاريخ الجامعات الاسلامية ، ص: ١١٥

(٦١) ع • ن • ص : ٤٢

(٦٢) محمد كرد علي ، العلم في الاندلس ، المجمع العلمي العربي ، ص : ٢١٦

امور المدارس واحوال التعليم في عهد كتابة المقدمة كما عرضها ابن خلدون

من خلال قراءة المقدمة يتبين لنا ان ابن خلدون قد اشار الى بعض الاحوال والامور التعليمية في عصره وهذه هي اهم النقاط التي وردت :

١ - يتبين لنا ان التعليم كان حرا وكان للفرد الحق الكامل في ان يختار المكان الذى يريد ان يتلقى العلم فيه دون قيد او شرط حكومي او سلطاني . وكان له الحق في ان يزاول التعليم في المساجد ايضا . "للمدرس الانتصاب لتعليم العلم وبثه والجلوس لذلك في المساجد".

لقد كان هناك صنفان من المساجد : مساجد عظيمة معدة للصلوات المشهودة ويرجع الامر فيها للخليفة ، ومساجد اخرى دونها مختصة بقوم او محلة وامرها راجع الى الجيران . فاذا اراد المدرس التدريس في المساجد العظيمة كان عليه ان يستشير الخليفة او السلطان في ذلك . واما اذا اراد التعليم في الصنف الاخر فلا يحتاج لذلك الى اذن من احد .

ومما يجدر بالذكر ان اصحاب الخير من الاغنياء كانوا يشيدون بعض البنايات المختصة للتدريس ويخصصون الاوقاف للمعلمين والمتعلمين . وكانت صلاحية التعليم في تلك المدارس تتعين وفق الشروط التي يشترطها الواقفون .

اما فيما يتعلق بمدة الدراسة فلم تكن معينة في المدارس

كبيرة كانت او صغيرة . غير ان المدة المعينة "لسكنى طلبة العلم بالمدارس كانت محدودة ، انما كانت ست عشرة سنة في المغرب وخمس سنين بتونس "، والمدة المعينة لذلك في مدارس المغرب طويلة نظرا لوداعة طرق التعليم المتبعة فيها كما قال ابن خلدون .

اما مهنة التعليم فقد كانت تعد من مهن المستضعفين : "ان التعليم لهذا العهد من جملة الصنائع المعاشية البعيدة من اعتزاز اهل العصبية . والمعلم مستضعف مسكين منقطع الجزم ".(٦٣) لكنه عاد فاشار الى ان التعليم في صدر الاسلام وفي عهد الدولتين لم يكن كذلك : "ولم يكن العلم بالجملة حينئذ صناعة ، انما كان نقلا لما سمع من الشارع ، وتعليما لما جهل من الدين على جهة البلاغ . فكان اهل الانساب والعصبية الذين قاموا بالملة هم الذين يعلمون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ،على معنى التبليغ الخبرى ، لا على وجه التعليم الصناعي ".(٦٤)

"وكانوا يحرصون على تبليغ ذلك وتفهيمه للامة ، لا تصدهم عنه لائمة الكبر ، ولا يدعهم عاذل الانفة ... ولكن حينما استقر الاسلام ووشجت عروق الملة حتى تناولها الامم البعيدة من ايدى اهلها ، واستحالت بمرور الايام واحوالها، وكثر استنباط الاحكام الشرعية من النصوص ، لتعدد الوقائع وتلاحقها . فاحتاج ذلك الى قانون يحفظه من الخطاء ، وصار العلم ملكة تحتاج الى تعلم . فاصبح من جملة الصنائع والحرف ... واشتغل اهل العصبية بالقيام بالملك والسلطان ، فدفع العلم لمن قام به من سواهم . واصبح حرفة للمعاش ، وشمخت انوف المترفين واهل السلطان للتصدى للتعليم ، واختص انتحاله بالمستضعفين ، وصار منتحله محتقرا عند اهل العصبية والملك".(٦٥)

---

(٦٣) ابن خلدون ، تاريخ العلامة ابن خلدون ، ص : ٤٦

(٦٤) ع . ن . ص : ٤٦

(٦٥) ع . ن . ص : ٤٧

٢- يتبين لنا ايضا مما كتبه ابن خلدون في المقدمة ان تعليم الولدان في البلاد الاسلامية كان يستهدف قبل كل شيء تمكين المتعلمين من قراءة القرآن الكريم مع حفظه كله او شيء منه . وسبب ذلك هو اعتقاد اهل الملة بضرورة تعلم القرآن في اول الامر ليرسخ الايمان في القلوب والنفوس . ومع هذا فقد اضافت بعض البلدان الى جانب تعليم القرآن شيئا من الحديث والفقه ، والخط والكتابة ، ثم اصول الشعر واللغة والاداب وقد اضافوا الى كل ذلك في بعض البلاد الحساب ايضا .

يميز ابن خلدون في هذا المضمار اربعة مذاهب اساسية ، اختص بكل منها احد الاقطار الاسلامية وهي : الاندلس ، المغرب ، افريقية ، المشرق .

أ- اهل المغرب " مذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط . واخذهم اثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه ، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم ، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب ، الى ان يحذق فيه او ينقطع دونه ، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة . وهذا مذهب اهل الامصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر امم المغرب ، في ولدانهم ، الى ان يجاوزوا حد البلوغ الى سن الشبيبة ، وكذا في الكبر ، اذا راجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره ، فهم لذلك اقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم . "(٦٦)

ب- "واما اهل الاندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو ، وهذا هو الذى يراعونه في التعليم ، الا انه لما كان القرآن اصل

---

(٦٦) ابن خلدون ، م . س . ص : ١٠١١

ذلك واسه ومنبع الدين والعلوم جعلوه اصلا في التعليم ، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل واخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب . ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه بل عنايتهم بالخط اكثر من جميعها الى ان يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشبيبة وقد شذا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما ، وبرز في الخط والكتاب وتعلق باذيال العلم على الجملة ". (٦٧)

ج - "واما اهل افريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها ، الا ان عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان اياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءته اكثر مما سواه . وعنايتهم بالخط تبع ذلك ." (٦٨)

د - واما اهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك على ما يبلغنا . ولا ادرى بم عنايتهم منها ، والذى ينقل لنا ان عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشبيبة ولا يخلطون بتعليم الخط ، بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراده ، كما تتعلم سائر الصنائع ، ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان ، واذا كتبوا لهم الالواح فبخط قاصر عن الاجادة ، ومن اراد تعلم الخط فعلى قدر ما يسنح له بعد ذلك من الهمة في طلبه ، ويبتغيه من اهل صنعته ." (٦٩)

---

(٦٧) ابن خلدون ، ع . س . ص : ١٠١٢

(٦٨) ع . ن . ص : ١٠١٢

(٦٩) ع . ن . ص : ١٠١٢

بعد ان اعطينا فكرة عامة عن التربية واهدافها وتطوراتها عند المسلمين سننتقل الى التحدث عن التربية وشؤونها عند ابن خلدون .

الفصل الرابع

فلسفة ابن خلدون التربوية

فلسفة ابن خلدون التربوية

لم يتكلم ابن خلدون في مقدمته عن الفلسفة مباشرة وقد اضطر ، في مباحثه التاريخية والاجتماعية الى ايضاح العمران البشرى وما يعرض له من احوال ، الى الكلام عن تفسير الرؤيا والنبوة وعلم الكلام والتصوف . وانتقد العقل البشرى وبين مميزاته وحدوده . وقابل بين العلم والدين وانتهى الى فلسفة تشبه الى حد ما فلسفة اوغست كونت وسبنسر التي تدعى بالفلسفة الوضعية ، لانها فلسفة تطور تقيد العقل بالمشاهدة المحسوسة والحوادث المتشخصة .(٧٠)

والذى يعنينا هنا هو دراسة نواح من فلسفة ابن خلدون من شأنها ان تلقي ضوءا على رأيه في التربية والتعليم .

---

(٧٠) جميل صليبا ، ابن خلدون ، ص : ٦

نظـرة ابـن خلـدون الى المجتمـع

حـدد العلمـاء التربيـة بانها تفـاعل بين الفـرد والبيئتيـن الطبيعيـة والاجتماعيـة • نـرى ان هذا التحديـد يتفـق ووجهـة نظـر ابـن خلـدون ، ويتبيـن لنا ذلك في وصفـه لتاثيـر البيئـة في حياة الافـراد وامكانياتهـم العقليـة ونشـاطهم الجسـمي • وفيمـا يلي بحث عن العوامل التـي اعتبـرها ابـن خلـدون موثـرة في المجتمـع والافـراد وفي تكوينهمـا •

العوامـل الموثـرة في المجتمـع : -

يـرى ابـن خلـدون ان هناك ثلاث ظـواهر مسـتقلة عن المجتمـع توثـر فيـه باسـتمرار تاثيـرا عظيمـا وهي الاقليـم والبيئـة الجغرافيـة والديـن • على انـه يـرى ان للديـن ظاهـرة اجتماعيـة اذ هو التاثيـر الالهـي فـي المجتمـع •

يبيـن ابـن خلـدون تاثيـر درجات الحرارة المختلفـة في اجسـام البشـر واخلاقهـم ومن ثـم في الحضـارة • فسـواد اللـون في سـكان الجنوب يرجـع الى شـدة الحـر حيث الشـمس محرقـة جدا • اما اهـل الاقاليـم المعتدلة فاجسـامهم اقـوى واوفـر توازنـا ، في حيـن ان اهـل الاقاليـم المنحـرفـة مجردون من الحضـارة تقريبـا • فهـم همـج لا يعرفـون شـريعة ولا حكـومـة ولا دينـا • واخلاقهـم غايـة في التناقـض وفي نفـس الوقت بعيـدة جدا عـن الوسـط الصالـح الذى يلائـم مجتمعـا متحضـرا • ويعلمنـا التاريـخ ان الحضارة

كاملة كانت ام ناقصة ، لم توجد قط الا في البلاد المعتدلة ، وان درجة كمالها تختلف طبقا لنشوءها قريبة او بعيدة من الاقليمين المنحرفين .

ولم يكتف ابن خلدون بهذا القدر بل اراد ان يشرح تاثير المناخ من الناحية العلمية اذ قال ان باخلاق اهل الجنوب خفة وطيشا وانهم لا يعرفون السكينة ويقضون معظم حياتهم في اللهو والرقص . وان اهالي الاقاليم الباردة يتصفون بالنشاط والانقباض والمغالاة في التحسب والتخوف للحوادث الطارئة . ثم يصف اهل المناطق المعتدلة باعتدال الاخلاق.(٧١)

ثم يشرح ابن خلدون تاثير البيئة الجغرافية في جسم الانسان وخلقه فيقول ان البلد الغني يكثر فيه انتاج الارض ويعيش الناس في رخاء وسعة . وليس عليهم ان ينفقوا كثيرا من جهدهم لتحصيل قوتهم اذ تزيد مصادرهم عن حاجاتهم فلذلك يتجهون الى الانغماس في ملذاتهم فيؤدي ذلك الى ضعف في اجسامهم بل وعقولهم ويصبحون عرضة للامراض ويعوزهم روح المثابرة على الجهد .(٧٢)

هناك عامل اخر وهو عامل التربة . فيقول بان الاختلاف في نوع التربة له تاثيره في حياة اهلها ان من ناحية مستوى العيش او من جهة ما يتركه في اخلاقهم ومرافق رزقهم . ويحاول تعليل هذه الناحية فيقول : " والسبب في ذلك والله اعلم - ان كثرة الاغذية وكثرة الاخلاط الفاسدة العفنة ورطوبتها ، تولد في الجسم فضلات رديئة ينشاء عنها بعد اقطارها في غير نسبة ، ويتبع ذلك انكساف الالوان وقبح الاشكال من كثرة اللحم وتغطي الرطوبات على الاذهان والافكار بما يصعد الى الدماغ من ابخرتها الرديئة ، فتجيء البلادة والغفلة والانحراف عن الاعتدال بالجملة ".(٧٣)

---

(٧١) طه حسين ، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ، ص : ٧١ و ٧٢

(٧٢) م . ن . ص : ٧٥

(٧٣) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٨٨

اما فيما يتعلق بالدين فابن خلدون يقرر ان ليس هناك من مجتمع لا يتاثر بدين من الاديان ، ويشرح الدين بطريقة طريفة جدا ، ويستند في ذلك الى مادة غزيرة من الفلسفة والدين والاساطير فيدمجها ويستخرج منها مذهبا يمكن تسميته بمذهب "ما وراء الطبيعة النفسي" وبهذا يتشابه وابن رشد نظرا لان كليهما استطاعا ان يوفقا بين الفلسفة والدين . وسنتكلم اكثر تفصيلا عن الدين وتاثيره في المجتمع في مكان اخر من هذا الفصل .

مبادئ المجتمع : يقرر ابن خلدون في مقدمته ان هناك ثلاثة مبادئ اساسية في المجتمع : -

أ - ضرورة الاجتماع للبشر ، واستحالة معيشتهم منفردين .

ب - ضرورة وجود الوازع للبشر ، وامتناع بقائهم بلا وازع يدفع عدوان بعضهم عن بعض .

ج - عدم ضرورة وجود الشرع للبشر ، وامكان دفع العدوان بسطوة الملك ولو لم يكن هنالك شرع .

"ان الاجتماع الانساني ضروري" هكذا قال ابن خلدون . وقد برهن على هذه الضرورة بامرين هامين اولهما ان الانسان مضطر للتعاون مع بني جنسه ، للحصول على الغذاء الذي يحتاج اليه . وثانيهما ان الانسان مضطر الى الاستعانة بابناء جنسه ليدفع تعدي الحيوانات عليه(٧٤) "لان قدرة الواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة الواحد من الحيوانات العجم سيما المفترسة ، فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة"(٧٥) وقدرة الواحد من البشر لا تكفي لصنع الاسلحة ضد الحيوانات فلا بد في ذلك كله من التعاون مع ابناء جنسه ، وان فقد هذا التعاون لا يستطيع الانسان

---

(٧٤) ساطع الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٢٨٠

(٧٥) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٢

ان يحصل على الغذاء وان يدافع عن نفسه .

ومن هنا يجد ابن خلدون انه اذا جعل الاجتماع بقصد طلب القوت ودفع العدوان يطمع الانسان في الاستكثار من الاقوات والاستزادة من المحافظة على نفسه ، فتنشاء من جراء ذلك الضرورة الاجتماعية في التكاتف والتضامن في سبيل تحقيق حياة افضل وينشاء عن ذلك الاكتشافات والانشاءات في سبيل العمران .(٧٦) ويعطي على ذلك مثلا : "الا ان قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء ولو فرضنا من اقل ما يمكن فرضه ، وهو قوت يوم من الحنطة مثلا ، فلا يحصل عليه الا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ . وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين والات لا يتم الا بصناعات متعددة ويحتاج كل واحد من هذه الى الات متعددة وصنائع كثيرة ويستحيل ان تفي بذلك كله او بعضه قدرة واحدة . فلا بد من اجتماع القدر الكثيرة من ابناء جنسه ، ليحصل القوت لهم وله ." (٧٧)

يعتبر ابن خلدون ان مدنية الانسان ظاهرة ضرورية . فالانسان بطبيعته حيوان مدني ، والمدنية تتفق مع الحاجات الطبيعية للعيش وحفظ الحياة . وهو يعتقد مثل ارسطو ان المجتمع قد نظم لصلحة اعضائه . ويعتقد ابن خلدون ان المدنية عاطفة كامنة في الانسان وان الله خلقه كذلك ووهبه من العواطف ما يتفق مع حاجاته . وليس لذلك المجتمع الطبيعي شكل سياسي فلو تم له ذلك فليس بفضل الغريزة وحدها بل بفضل التفاهم والتامل ايضا . وهذا ما يميز المجتمع البشرى من اجتماعات تبدو متشابهة له نلاحظها في بعض الحيوانات . فان هذه الاجتماعات نتيجة للغريزة وحدها في حين ان الاجتماع البشرى نتيجة

---

(٧٦) كمال يازجي وانطوان كرم ، اعلام الفلسفة الاسلامية ، ص : ١٦٨

(٧٧) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٢

للتفاهم وللغريزة معا . ويشعر البشر في مجتمعهم بالحاجة الى سلطة عليا تحول دون اعتداء بعضهم على بعض وهذا هو اساس الحكومة . ويرى ابن خلدون ان الظواهر الاجتماعية لا تختلف عن الظواهر الفردية وان من الممكن دائما ان نتردد اليها . اما الشطر الذى يوجع الى الفكر البشرى في الاجتماع فابن خلدون لا يحدده .(٧٨)

يعتقد ابن خلدون انه اذا ما تم الاجتماع والعمران للبشر فلا بد لهم من وازع يدفع بعضهم عن بعض ويقرر ذلك بقوله : "ثم ان هذا الاجتماع ، اذا حصل للبشر فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم" . فكما ان الاسلحة ضرورية للدفاع بها عن النفس من الحيوانات ، كذلك يجب ان يكون هناك شيء اخر يدفع عدوان البشر بعضهم عن بعض . ولا يمكن لهذا الوازع ان يكون من غير البشر ويجب ان يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل احد الى غيره بعدوان ، وهذا هو معنى الملك . ويشير ابن خلدون الى هذا الوازع في عدة اماكن من مقدمته فيقول مثلا في احد الفصول : "ان البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم الا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضرورياتهم . واذا اجتمعوا ، دعت الضرورة الى المعاملة واقتضاء الحاجات ، ومد كل واحد منهم يده الى حاجته ياخذها من صاحبه ، لما في الطباع الحيوانية من الظلم والعدوان ، بعضهم على بعض، ويمانعه الاخر عنها بمقتضى الغضب والانفة ومقتضى القوة البشرية في ذلك ، فيقع التنازع المفضي الى المقاتلة ، وهي تودى الى الهرج وسفك الدماء ، واذهاب النفوس المقتضي ذلك الى انقطاع النوع . . . ولذلك استحال بقاؤهم فوضى ، دون وازع يزع بعضهم عن بعض ، واحتاجوا من اجل ذلك الى الوازع ، وهو

---

(٧٨) طه حسين ، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ، ص : ٦٧ ، ٦٨

الحاكم عليهم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم ".(٧٦)

يقول ابن خلدون يتم اجتماع البشر لانهم يحتاجون الى بعضهم البعض • فحالة الحرب التي هي من خواص الانسان هي خاصة السلامة والامة ، على ان المجتمع اذا ما تاسس تصادمت مصالح الافراد وثارت كوامن العدوان بين اعضائه • ومن اجل هذا يحتاج الى الشرائع والى حكومة قادرة تقمع تلك الميول العنيفة • واما بحالة عدم وجود شرع في المجتمع فهذا لا يعني انه لا ينمو وينهض فكثيرا ما وجدت مجتمعات بدون ذلك وهي في غاية التقدم والرقي •

طبيعة الفرد : الان وبعد ان شرحنا العوامل المؤثرة في الفرد والمجتمع من حيث البيئة الاجتماعية والطبيعة وبعد ان راينا تفاعل الفرد في هاتين البيئتين يتوجب علينا كي نفهم ماهية هذا التفاعل ومدى تاثيره ان نلم بطبيعة الفرد الانساني ومراحل نشوئه وتطوره وان نقابل بينه وبين الحيوان لاظهار المميزات الفارقه بينهما •

فالانسان هو حيوان اجتماعي وهو يشترك بصفاته الحيوية جمعاء مع الحيوان الا انه يمتاز عنه بالفكر الذى يساعده في حياته وكسب رزقه ، وفي تعاونه مع ابناء جنسه ، وفي معيشته الجماعية التي تهيء لذلك التعاون ، وفي دعم حياته بمبادىء الخير التي ياتي بها الانبياء والمرسلون • واهم مظهر من مظاهر نشاط الفكر البشرى هو السعي وراء المعرفة لذلك نرى الانسان جادا في البحث عما حصله غيره من معلومات وحقائق وما اتقنه من حرف وصناعات وهو يحاول بذلك ان يطلع على تراث نشاط الفكر الانساني (٨٠) " ... فيكون الفكر راغبا في تحصيل ما ليس عنده من الادراكات ،

---

(٧٦) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٣

(٨٠) فتحية حسن سليمان ، بحث في المذهب التربوى عند ابن خلدون ، ص : ٢٤

فيرجع الى من سبقه بعلم او زاد عليه بمعرفة او ادراك ، او اخذه ممن تقدمه من الانبياء الذين يبلغونه لمن تلقاه ، فيلقن ذلك عنهم ويحرص على اخذه وعلمه .(٨١)

ينشاء الانسان الفرد على ثلاثة مراحل كما يذكر ابن خلدون عندما يقابل بينه وبين المجتمع . فالمرحلة الاولى هي مرحلة الطفولة ويكون الانسان فيها بسيطا ساذجا ، والمرحلة الثانية هي مرحلة الشباب التي تمتاز بالطموح والجد والعمل والنشاط ، والمرحلة الثالثة وهي مرحلة الشيخوخة وفيها يتم للانسان الاستقرار ويبداء بالضعف والهزال الى ان تبلغه المنية فيموت . فالانسان يتطور ويتغير في نشأته حسب ما يتكيف في المجتمع ولكل فترة من فترات حياته صفاتها الخاصة وموثراتها . والانسان والمجتمع مرتبطان بعضهما ببعض اذ ان المجتمع لدى ابن خلدون هو مجموعة من الافراد ، وفكر المجتمع هو مجموعة افكار افراده . والانسان باطواره وكيفية نشوئه يتشابه والمجتمع كثيرا . ولذلك وجب علينا ان نتفهم ماهية المجتمع ومراحل تطوره ورقيه وعلاقة الفرد به .

المجتمع كائن حي : نظر ابن خلدون الى المجتمع نظرة تختلف عما سبقه من فلاسفة الاجتماع ، ذلك انهم اعتقدوا بان المجتمع كالتصميم ، فان كان هذا التصميم مبنيا على اسس متينة فالمجتمع يظل محافظا على كيانه وروعته مهما تقلبت الايام واختلف السكان . لكن ابن خلدون شبهه بانه كائن حي اى انه ينشاء على درجات متفاوته في النضج والازدهار . ثم ياخذ في الاضمحلال الى ان يعروه الانحلال . ويتعرض في هذه الفترة الى تقلبات وموثرات تقرر الكثير من شوئونه ونواحيه . ثم يقول ان هذا النمو والتطور ليس بمجرد امر عارض بل انه احدى قوانين الطبيعة يخضع

---

(٨١) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ١٧٠

له البشر كما يخضع له المجتمع . فيتبين من ذلك ان التطور في المجتمع عند ابن خلدون امر محتم .(٨٢)

فالمجتمع المتحضر لا بد له من ان يمر خلال ثلاثة اطوار متتابعة اثناء تحضره . الطور الاول هو طور البداوة وفيه تتحكم عادات المجتمع وحاجاته وليس القانون . والطور الثاني الذى يمر به المجتمع هو الغزوات والحروب وفيه تتكون تدريجيا القوانين والانظمة التي تتحكم فيه . وبعد ان يستقر المجتمع ويبلغ اوجه ، وينكب افراده على الدراسة والاستطلاع والتوسع في العلوم والفنون تنتشر فيه روح الترف والبحث عن وسائل الاستمتاع بالحياة فيبداء بالضعف والاضمحلال وهذا هو الطور الثالث.(٨٣) وهذا يرينا ان المجتمع باطواره يشبه اطوار الانسان الثلاثة فطور الطفولة يشبه طور البداوة في البساطة والسذاجة وطور الشباب يشبه طور الغزوات والحروب من حيث الاستعداد والنشاط والتاهب ، وطور الشيخوخة يشبه طور الاستقرار والاضمحلال في المجتمع . لكن هناك فارق بين المجتمع والانسان وهو ان مرحلة الشيخوخة عند الفرد تنتهي بالموت .(٨٤)

ان هذه النتيجة ليست صحيحة فيما يتعلق بالمجتمع . فان ابن خلدون لا يعني بمرور المجتمع بهذه الاطوار الثلاثة انه يقف عند هذا الحد او انه ينتهي وتنتهي معه الحياة والنشاط ، بل انه يبداء من جديد في النمو والتطور مع بقايا رواسب من حضارته الاولى ورقيه تساعده في النشوء والارتقاء من جديد . فالمجتمعات تعلو وتنخفض وتتقدم وتتاخر . ولكي نحرص على اطوار المجتمع ونموه يجب ان نراعي قوانين تقدمه ونأخذ بالعوامل الموصلة الى ذلك . ومن اهمها التعليم . وسنأتي على بحث التعليم وشؤونه فيما بعد بالتفصيل ، وسنتناول الان دور [illegible] الدين

---

(٨٢) كمال يازجي وانطوان كرم ، اعلام الفلسفة العربية ، ص : ١٦٦ ، ١٦٧

(٨٣) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ١٧٥

(٨٤) فتحية حسن سليمان ، بحث في مذهب ابن خلدون التربوي ، ص : ٢٣

في الدولة ودوره كمربي في المجتمع .

الدولة والدين : -

يتكلم ابن خلدون كثيرا عن الدولة والعصبية ودور الدين وتاثيره فيهما في فصول عديدة من المقدمة . ففي الفصل المعنون "في ان الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك اصلها الدين اما من بنوة او دعوة حق "، يبين ابن خلدون ان الملك انما يحصل بالتغلب ، والتغلب يتم بالعصبية واتفاق الاهواء المختلفة . وللدين اثر كبير في جمع القلوب وفي التآلف وذلك يتم بعون الله . وان القلوب اذا انصرفت الى شهواتها واهوائها ومساراتها حصل التنافس وفشى الفساد والخلاف . وانها اذا اتجهت نحو الحق وابتعدت عن الباطل ، تتوجه وجهتها نحو الله ، فيذهب التنافس ويقل الخلاف وينشاء التعاون والتعاضد وبذلك يتسع نطاق الكلمة فتعظم الدولة ويتحسن حالها . (٨٥) وفي فصل اخر وهو " في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها "، فيقول بان الصبغة الدينية تبعد التنافس والتحاسد في اهل العصبية وتوجههم نحو الحق . واذا تعرض لهم احد ، فلا يمكن ان يقف شيء بوجههم ذلك لان وجهتهم واحدة ومطلوبهم واحد . في حين ان اولئك الطامعين في الدولة ، وان كانوا اكثر منهم عددا فسيواجهون الخذلان والانسحار ، ذلك لتباين نواياهم واغراضهم بالاضافة الى عدم ايمانهم الذى ينتج عنه الخلاف وملاقاة الموت . ويعطي ابن خلدون مثلا على ذلك في واقعة اليرموك والقادسية عندما كان الفرس اضعاف المسلمين عددا ومع ذلك فقد غلبهم العرب لان الاجتماع الديني ضاعف قوة عصبيتهم بالاستبصار والاستماتة . (٨٦)

---

(٨٥) ابن خلدون ، تاريخ العلامة ابن خلدون ، ص : ٢٨١

(٨٦) ع . ن . ص : ٢٨٢

هكذا يبين اثر الدين في جمع الصفوف ولم يكتف بهذا القدر بل حاول ان يوضح ذلك اكثر في الفصل المعنون : "في ان الدعوة الدينية من غير العصبية لا تتم" فبين ابن خلدون انه لا بد لكل امر تحمل عليه الكافة من العصبية . وقد مثل على ذلك ما جاء في الحديث الشريف : ما بعث الله بنيا الا في منعة من قومه . ويقول اذا كان يفترض هذا في الانبياء فغيرهم من الناس يغلب على امرهم بسهولة بغير عصبية . ويعطي ابن خلدون على ذلك مثلا عن ابن قسي شيخ الصوفية ، الذى ثار في الاندلس داعيا الى الحق وسمي اصحابه بالمرابطين . فاستتب له الامر قليلا لانه لم يكن له عصائب ولا قبائل تدفعه عن غرضه هذا. ولكن عندما استولى الموحدون على المغرب خضع لهم ودخل بدعوتهم بسهولة . وكان اول داعية لهم بالاندلس وسميت ثورته بثورة المرابطين . ومن هنا يتبين احوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء ، فان كثيرا من منتحلي العبادة ومتبعي الدين يحملون على اولئك الامراء الظالمين الى تغيير المنكر والنهي عنه ، فيكثر اتباعهم ويعرضون انفسهم في سبيل ذلك للممالك مأزورين غير مأجورين لان الله لم يكتب ذلك عليهم وانما امر به حيث تكون القدرة عليه . ثم يقول ابن خلدون بان احوال الملوك والدول قوية وقائمة على اسس راسخة لا تزحزح الا اذا كان من ورائها تلك القوة والمطالبة الناتجة من عصبية القبائل والعشائر ولذلك اعتمد الانبياء في دعوتهم على العشائر والعصائب .(٨٧)

ويعطي ابن خلدون امثالا كثيرة عن الثورات والفساد وتغشيهما في الدول ، ثم يبين اثر الدعوة الدينية وما يامر به الدين في الشعوب وفي تصرفاتهم واخلاقهم . يقول انه عندما بويع ابراهيم بن المهدى

---

(٨٧) ابن خلدون ، ع . س . ص : ٢٨٤

حدث هرج ببغداد واستفز اهل الفسق باهل الصون والعفة ، وابتداء النهب والسبي علنا في الاسواق . لكن اهل الدين والصلاح تيقظوا لهذه الحالة وقاموا يمنعون هذا الفسق والفساد . وقام ببغداد رجل يعرف بخالد الدريوس ، الذى دعا الناس الى الخير والابتعاد عن الاعمال المنكرة ، فاجابه الخلق وقاتل اهل الفساد فغلبهم ونكل بهم . لكنه قتل في النهاية وقام بعده كثيرون ينتحون هذه الناحية ولكنهم فشلوا جميعهم لانهم يحتاجون الى اقامة الحق الى العصبية . وهذا يدلنا على ان ابن خلدون اعتبر الدين والدعوة اليه من العوامل الفعالة في تحسين اخلاق البشر وعاداتهم . كما نلاحظ انه يريد ان يبين بوضوح ان كل دعوة يجب ان تقام على العصبية لتكون فعالة ناجحة .(٨٨)

يتبين لنا مما سبق ان ابن خلدون يلاحظ بعض العلائق الهامة بين قوة العصبية ، وبين امور الديانة والدعوة الدينية ايضا ، فانه يذهب الى ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم " لان هذه الدعوة تتضمن حمل الناس على السير وفق ما تقتضيه الامور الدينية ، لذلك لا تخرج عن نطاق الامور التي تحتاج الى عصبية : " ان الشرائع والديانات ، وكل امر يحمل عليه الجمهور ، فلا بد فيه من العصبية . اذ المطالبة لا تتم الا بها ... فالعصبية ضرورية للملة ."(٨٩)

بينما يقرر ابن خلدون من جهة ، ضرورة العصبية للدعوة الدينية ، يلاحظ نوعا من المشابهة بين تاثير الدين وبين تاثير العصبية في الحياة الاجتماعية . " لان الديانة توئلف القلوب ، وتوجهها الى وجهة واحدة ، وتذهب بالتنافس والتحاسد ، وتوعدى الى اتفاق الاهواء ، وتحمل

---

(٨٨) ابن خلدون ، تاريخ العلامة ابن خلدون ، ص : ٢٨٦

(٨٩) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٢٠٢

على التعاون والتعاضد ." (٩٠) فالعصبية كما قال ابن خلدون تحمل الناس على التعاون والتعاضد ، فيكون عمل الدين في هذا الصدد يشبه عمل العصيبة . ولهذا فانه يقول : " ان الدعوة الدينية ، تزيد الدولة في اصلها قوة على قوة العصيبة التي كانت بها من عددها ." (٩١)

مما يجدر ملاحظته ايضا ان ابن خلدون يتوسع بوجه خاص في شرح اثر الدين في القبائل العربية : ان هذه القبائل العربية "اصعب الامم انقيادا بعضهم لبعض ، للغلظة والانفة ، وبعد الهمة ، والمنافسة في الرياسة ، فقلما تجتمع اهواؤهم ، فاذا كان الدين بالنبوة او الولاية ، كان الوازع لهم من انفسهم ، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم ، وسهل انقيادهم واجتماعهم ، وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والانفة ، الوازع عن التحاسد والتنافس ." (٩٢)

ومن الطبيعي انه اذا تالفت كلمتهم لاظهار الحق تم اجتماعهم وحصل التغلب والملك ".

يتبين لنا مما ورد ، ان نظرية ابن خلدون في "علاقة العصبية بالدولة " ونظريته في "علاقة العصبية بالدين " يتمم بعضهما بعضا ، وتنسجمان تمام الانسجام ، في نطاق انظومة واسعة الخطوط :

ان الملك والدولة العامة ، انما يحصلان بالقبيل والعصبية .

ان الدعوة الدينية ايضا لا تتم من غير العصبية .

الا ان هذه الدعوة ، اذا ما تمت بمساعدة القوة العصبية ، ضاعفت تلك القوة ، وجعلتها اقوى بكثير مما كانت عليه قبلا ." (٩٣)

---

(٩٠) ابن خلدون ، م . س . ص : ١٥٧

(٩١) ساطع الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٣٤٧

(٩٢) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ١٥١

(٩٣) ساطع الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٣٤٩

الدين والنبوة :

قبل ان نتكلم عن دور الدين كمربي سنتحدث عن رأى ابن خلدون في النبوة ورجال الدين وادوارهم في المجتمع اذ انه يعطي لذلك شيئا من الاهمية في مقدمته . وما ذكره عن هذه المواضيع يقدم لنا فكرة عن كيفية معالجته الامور الدينية من جميع نواحيها .

لا يعتقد ابن خلدون بان النبوة ضرورية لتاسيس الحكومة وبذلك يمتاز عن معظم الفلاسفة والمتكلمين المسلمين لان هؤلاء يؤكدون انه لا يتاتى قيام دولة دون ارشاد الله . فقد راى ان هنالك امما كثيرة تعيش بغير دين منزل وان لهذه الامم سلطانا واسعا وقوانين وانظمة وجيوشا قوية ومدنا عامرة آهلة . وان هذه الامم تعد كثيرة بالنسبة للامم التي انتشرت فيها الاديان المنزلة فاستنتج من ذلك ان النبوة ليست ضرورية لتاسيس الممالك والدول . لكنه عاد فقال ان النبوة وان لم تكن ضرورية لتاسيس الممالك العادية الا انها ضرورية لتاسيس الممالك الراقية الكاملة لان المملكة التي تقام على اساس النبوة تجمع بين منافع الدنيا ومنافع الدين .(٩٤)

يرى ابن خلدون ان الاتصال بين العالم الحسي وغير الحسي اساس لكل دين ، والى هذا الاتصال يرجع الفضل في معرفة الانسان اما لارادة الله وما يفرضه عليه من الواجبات واما لاسرار الماضي والمستقبل وبالجملة بما يتكون منه الدين . ويجد تفسير هذه العلاقات بين العالمين في الروح البشرية . فهذه الروح هي الواسطة بين الله والانسان وهي بطبيعتها خالدة لا تفنى وبها قدرة خفية تمكنها من ان تنفذ الى عالم

---

(٩٤) محمد لطفي جمعه ، تاريخ فلاسفة الاسلام ، ص : ٢٣٣

الافكار وان تتخاطب مع الله ذاته . على ان قوة تلك الارواح ليست بنسبة واحدة بل ان معظمها يتصل بهذا العالم الحسي ويكاد يفقد قدرته الخفية . ومنها ما لا يحتفظ بهذه القدرة الا بقدر قليل جدا ، ومنها ما يحتفظ بها كلها وتلك هي ارواح البشر الممتازين الذين اختارهم الله وهم الانبياء . وبفضل هذه القدرة تهجر ارواح الانبياء العالم الحسي احيانا لتتلقى من الله الوحي والاوامر التي يجب ان تبلغها الى البشر . ويمكن ان نستخلص هنا ان ابن خلدون يرى ان الاديان الحقيقية هي التي تنشأ من ذلك الوحي فقط .(١٥)

ومع ان هناك اديانا مزيفة لكنها مع ذلك تحتوى لمحة من الحقيقة . والواقع ان الارواح التي لا تحتفظ بكامل القدرة على اتخاذ الصفة الملكية - كما يسميها ابن خلدون - يمكنها مع ذلك ان تنفذ الى العالم الروحي باستخدام وسائل مختلفة تمكنها من الانسلاخ عن العالم المادى . فمثلا يمكن الانسان ان يحصر عنايته مدة طويلة في امر تافه جدا ، فينتهي بان ينسى كل ما يحيط به ويمكنه ان يرى - بسرعة فائقة وشكل ناقص جدا - شيئا من العالم الملكي . وهذه هي الاديان الوثنية . ثم يقول ابن خلدون ان علوم الكهان لا تصح ان تكون اساسا لحقيقة مطلقة او بالحرى لدين ما ، وواجب ان يمثل الدين حقيقة مطلقة .

ويذهب ابن خلدون بعيدا فيقرر مع الصوفية ان الانسان بانفصاله عن الحياة المادية جهد استطاعته كل ما تدركه الحواس ، يستطيع مع الاحتفاظ بحسن ايمانه ومع عدم الطموح الى تاسيس دين جديد - ان يذوق لذة الحياة الملكية وان يشعر باقترابه من الجوهر الآلهي : وعندئذ يتسنى له ان يدرك الحقائق التي يصل اليها العلماء بالطرق

---

(١٥) طه حسين ، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ، ص : ٧٧

العادية ولكنها تكون اشد وضوحا . على انه اذا باشر الانسان تلك الرياضة رغبة في ان يتفوق فان الطريق تغلق دونه ، واذا استطاع ان يتصل بالعالم الاخر فلا يكون ذلك الاتصال بالله بل يكون بالشياطين . وليس هذا كل ما في الامر لان الروح البشرية تستطيع ايضا ان تدرك بعض اسرار المستقبل بواسطة الرؤيا . ولكن يجب لصحة هذه المعلومات ان تكون الروح كاملة الاستقامة والورع والطهارة والا كانت الرؤيا وحيا من الشياطين اوصورا متكررة من الحياة اليومية . (٦٦)

لقد وضح ابن خلدون الانبياء في طليعة البشر ، ويليهم الاولياء وبعبارة اخرى الصوفية والكهان . وتنقسم كل جماعة من هؤلاء الى عدة مراتب . فهنالك مثلا انبياء ليسوا بالرسل وامتيازاتهم عبارة عن ادراك عالم الغيب ولكن بطريقة اقل كمالا من طريقة الرسل . ويختلف هؤلاء عن بعضهم البعض ، فالرسول يمتاز بالمعجزة ولا بد لرسالته من برهان قاطع ليقرها الناس كافة ، والمعجزة هي ذلك البرهان . ومعجزة الرسول تتميز بان الرسول يعلن عن المعجزة التي ستحدث ويطالب كل فكر لصدقه ان ياتي بمثلها وهذا ما يسميه المتكلمون "بالتحدى" . ويعتقد ابن خلدون ان كل تنبوء لا يستمد من قوة الروح المعنوية لا قيمة له في نظره ، لا من الوجهة العلمية ولا من الوجهة الدينية . ولا يمكن على هذا ان يكون للدين قاعدة اخرى سوى اتصال بعض رجال ممتازين ان كثيرا او قليلا بالعالم الروحي . " وفي هذا المذهب نجد نظرية افلاطون في "المثل" اذ للاتصال بالعالم الروحي وقراءة الماضي والمستقبل يجب ان يكون لكل شيء وجود خالد ، ليس عالم الحس الا صورة ناقصة له . ونجد ايضا نظرية الاشراق لمدرسة الاسكندرية التي استخلصت فلسفتها من مذاهب مختلفة ، اذ يمكن للروح بالتامل والرجوع الى النفس ان تشاهد

---

(٦٦) طه حسين ، ع . س . ص : ٧٨

النور العام عن قريب ، ويدخل فيه التصوف الاسلامي الذى متى حررناه من لونه السياسي لم نجده الا فكرة الاشراق الاسكندرية وفق بينها وبين الاسلام وكذلك التوحيد الاسلامي بدقته وجدله العميق حول ابسط الالفاظ والاراء (٩٧)

الدين كمربي :-

ذكرنا سابقا ان ابن خلدون لا يعتقد بان النبوة ضرورية لتاسيس الحكومة او الممالك العادية الا انها ضرورية لتاسيس الممالك الراقية الكاملة لان المملكة التي تقام على اساس النبوة تجمع بين منافع الدنيا ومنافع الدين .

الى جانب هذا وذاك فان ابن خلدون كما يتبين لنا من حديثه عن الدين وعلاقته بالدولة والمجتمع ، يعتقد بان الدين ضرورى في المجتمع من حيث هو مهذب للاخلاق وللنفوس البشرية كما انه يساعد على التضامن وعلى بعث روح التعاون في النفوس . ففي الفصل المعنون : "في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم من الدين على الجملة" يقول ابن خلدون ان السبب في ذلك يعود لصعوبة انقيادهم ولما عندهم من انفة وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة فلاختلاف اهوائهم لا يتفقون . ثم يقول " فاذا كان الدين بالنبوة او الولاية كان الوازع لهم من انفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم ، وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والانفة الوازع عن التحاسد والتنافس ، فاذا كان فيهم النبي او الولي الذى يبعثهم على القيام بامر الله ، ويذهب عنهم مزمومات الاخلاق ويأخذهم بجمودها ، ويؤلف كلمتهم لاظهار الحق ثم اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك ، وهم مع ذلك

---

(٩٧) طه حسين ، ع . س . ص : ٧٩ ، ٨٠

اسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبرائتها من ذميم الاخلاق ، الا ما كان من خلق التوحش القريب المخانات المتهيء لقبول الخير ببقائه على الفطرة الاولى ، وبعده عما ينطبع في النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات ، فان كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث ".(٦٨) يتبين من هذا اثر الدين في صقل الاخلاق ، كما وان الدين يذهب العادات القبيحة كالغلظة والحسد والتنافس وان رجال الدين لهم اليد الكبرى في ارشاد الناس الى اتباع الطرق المستقيمة واختيار الحياة الشريفة البعيدة عن مذمومات الاخلاق والامور الفاسدة . واذا ما هذب الدين النفوس وبرأها من تلك الامور والعادات السيئة اصبح التآلف والتضامن والتعاون الذى قد ينتج من فعالية الدين هو العامل الاكبر في جمع الامة وترابطها وفي تاسيس دولة او ملك على اسس متينة صحيحة . ومما يؤكد ذلك ما جاء في الفصل "في ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك " الذى يقول بما ان العرب اكثر بداوة من سائر الامم لان شظف العيش وخشونته اغنتهم عن حاجات كثيرة وعن غيرهم من الناس ، ويقول ان من طبيعتهم ان يستهينوا في سبيل غرضهم بكل شيء خاصته الاموال ، وتهمهم المنفعة وتحصيل الفوائد فلا يكون هذا وازعا ، بل قد يكون باعثا على المفاسد وتخريب العمران . فلذلك لا تستقيم الامة وتخرب سريعا وتعم الفوضى .

وقد تتحسن سياستهم في الملك وتتبدل " بعد انقلاب طباعهم ، وتبدلها بصبغة دينية تمحو ذلك منهم وتجعل الوازع لهم من انفسهم ، وتحملهم على دفاع الناس بعضهم على بعض ، واعتبر ذلك بدولتهم في الملة لما شيد لهم الدين امر السياسة بالشريعة واحكامها المراعية لصالح العمران ظاهرا وباطنا ، وتتابع فيها الخلفاء ، عظم حينئذ ملكهم وقوى

---

(٦٨) ابن خلدون ، تاريخ العلامة ابن خلدون ، ص : ٢٦٦ ، ٢٧٠

سلطانهم ".(٩٩)

مما يجدر ملاحظته ان ابن خلدون يظهر احترامه وتقديره لرجال الدين ، فبالاضافة الى انه اشار انهم يسعون الى اهداء الناس الى سبل الخير فهو يعززهم ويجلهم وينعتهم بالصفات والخلال الحميدة لان مهماتهم شريفة ، اذ ان التهذيب والارشاد هما من اهم العوامل التربوية في المجتمع . ففي الفصل المعنون " في ان القائمين في امور الدين من القضاء والتدريس والامامة والخطابة والاذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب " ، يرى ابن خلدون ان الكسب قيمة الاعمال وانها متفاوتة بحسب الحاجة اليها ، فاذا كانت الاعمال ضرورية في العمران كانت الحاجة اليها اشد . وبما ان اصحاب الصنائع الدينية لا يضطر اليهم عامة الشعب وبما ان صاحب الدولة يهتم باقامة مراسمهم فيقسم لهم حظا من الرزق على نسبة الحاجة اليهم وهذا قليل بالنسبة لغيرهم . "وهم ايضا لشرف بضائعهم اعزة على الخلق وعند نفوسهم ، فلا يخضعون لاهل الجاه حتى ينالوا منه حظا يستدرون به الرزق ، بل ولا تفرغ اوقاتهم لذلك لما هم فيه من الشغل بهذه الصنائع الشريفة والمشتملة على اعمال الفكر والبدن ، بل ولا يسعهم ابتذال انفسهم لاهل الدنيا لشرف صنائعهم ، فهم بمعزل عن ذلك ، فلذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب ".(١٠٠)

يعتبر ابن خلدون ان العصبية خاصة جوهرية القبيلة البدوية وانها في الوقت نفسه قاعدة نظامها ومصدر تقدمها . غير ان هنالك شرط اخر مهم وبدونه تصبح العصبية كما يقول ابن خلدون "كشخص مقطوع الاعضاء " . وهذه الصفة التي اراد ها ابن خلدون هي الفضيلة والخلال الحميدة الضرورية الى نيل الملك . وهو يعتقد ان هذه الصفة انما هي

---

(٩٩) ابن خلدون ، م . س . ص : ٢٧٣

(١٠٠) ابن خلدون ، م . ن . ص : ٢١٠

ضرورية ايضا للافراد والجماعات اذ انها شرط يكفل ويضمن بقاء القبيلة وتقدمها • ويقول طه حسين ان هذه الفضيلة التي يقول بانها شرط من شروط الملك ، ليست الا عبارة عن الصفات التي ذكرتها كتب الاخلاق • فمن اراد الملك يجب ان يكون عادلا جوادا يجل العلماء ورجال الدين •

ولم يقتنع بان يقرر بواسطة التجربة ضرورة اتصاف الملك او الرئيس بالفضيلة بل يعتمد ايضا في ذلك على براهين عقلية مستمدة من القرآن او من النظر الفلسفي فيقول ان الملك هو الخاصة المميزة للمجتمعات البشرية ، وانها تنشاء بما يميز الرجل من الحيوان ، وان ما يميز الرجل هو روحه الذى تدفعه طبيعته نحو الخير • وعلى هذا فيجب على الملك ان يكون الصورة المثالية المخلصة التي تتحلى بالصفات الروحية الفاضلة للانسان • وبما ان الملك هو خليفة الله على الارض فتحليه بالخلائق الفاضلة واجبة ايضا لتادية تلك المهمة .(١٠١)

الى جانب هذا فان ابن خلدون يرى ان الحكومة الدينية هي خير حكومة اذ الغاية الطبيعية لحكومة ما هي المصلحة العامة او منفعة المجتمع • ولذلك يجب معرفة هذه المصلحة حتى يمكن السهر على حفظها بطريقة مجدية ، وليس على الانسان ان يعرف ماهيتها معرفة جيدة الا فيما يتعلق منها بهذه الحياة الدنيا • ولكن الحياة الدنيا يجب ان تتخذ وسيلة للوصول الى الحياة الاخرى وهذا لا يستطيعه سوى الله والانبياء • ولذلك كانت القوانين التي تصدر من عند الله هي خير ما يضمن سعادة الانسان في الدنيا والاخرة • ولكن كيف قامت الحكومة في نفسها من حيث انها ظاهرة اجتماعية مع غض النظر عن الاشكال المختلفة

---

(١٠١) طه حسين ، فلسفة ابن خلدون ××× الاجتماعية ، ص : ٩٦

التي قد تتخذها فيما بعد ؟

هذا السؤال اختلف عليه المتكلمون .

يرى ابن خلدون ان الحكومة نتيجة طبيعية لحادث الاجتماع، ويؤيد شرحه بحاجات الانسان الاقتصادية وحاجته للدفاع والحماية ، وانها تكون عملا غريزيا اذا تجرد الانسان من العقل الذى يتدخل في كل الامور ، ولكن العقل والدين لا يخلقان الحكومة بل يصلحانها ويغيرانها ويجعلانها صالحة لضمان خير المجتمع .

واذا لم تكن الحكومة من صنع الدين فهذا لا يعني انها ليست من صنع الله ذلك لان الانسان هو من صنع الخالق ، ويجب ان تتجه كل غرائز الانسان وكل افكاره واعماله نحو خالقه .(١٠٢)

---

(١٠٢) طه حسين ، ع . س . ص : ١٣٠

نظـرة ابن خلـدون الى الغيبيـــات

تحدثـت سـابقـا عن تطـور المجتمـع بنظـر ابن خلـدون وقلـت ان التعليـم هو عامـل من عـوامل تقـدم المجتمـع ونمـوه ، الا اننـا لكي نفهـم فلسـفته التربـوية حـق الفهـم علينـا ان نلـم باهداف التربيـة عنـده ذلك ان هذه الاهـداف مسـتوحاة من طبيعـة الفـرد والمجتمـع ونظـرته في الغيبيـات والمعرفـة والقيـم • وسـناتي على هذه النظـريـات فيمـا يلـي :

الاطـلاع على ما وراء الحـــس :-

يذهـب ابن خلـدون الى ان في النفـس الانسانيـة اسـتعدادا للانفصـال من البشـرية الملكيـة • فيقسـم النفـوس البشـرية الى ثلاثـة اصناف : الصنـف الاول هو الصنف العاجـز عن الوصـول الى الادراك الروحاني لاتصـاله بالمدارك الحسـية ، وهذا هو الادراك البشـرى الذى يتوقـف عنده العلمـاء • والصنـف الثـاني صنـف متوجـه بتلك الحركـة الفكريـة نحـو العقـل الروحانـي ، فيتجـاوز حدود الاوليـات العقليـة ويتعمـق في الاشـياء الباطنيـة وهي امـور وجـدانيـة لا نطـاق لهـا • وهذه هي مدارك الاوليـاء وهي الحاصلـة بعد الموت لاهـل السـعادة • والصنف الثالـث هو صـنف متطـور على الانسـلاخ من البشرية الى طـور الملائكـة من الافـق الاعلـى ليصيـر لمحـة من لمحـات الزمـان ملكـا بالفعـل • وهؤلاء هـم الانبيـاء • وهذا الاسـتعداد الخاص بالانبيـاء يوجـد معـه عوائـق وموانـع كثيـرة تمنـع من حصـوله • ومن اعظـم تلك الموانـع الحواس الظاهـرة • وقـد ذكـر ابن خلـدون ذلك في تعليـل الرؤيـا وحصـولها بارتفاع حجاب الحـس • وعلـل ارتفـاع حجاب الحـس في النـوم بنظرية "ديكارت" الفيزولوجيـة المسـماة (Theorie des esprits animaux .) •

والروح الحيواني هذا ، عند ابن خلدون ، نجار لطيف ينقل اثار الجسد الكثيف الى النفس ، وعندما يعرض النوم للحواس الظاهرة ينصرف الروح الحيواني عنها الى الحس الباطن فتخف عن النفس شواغل الحس وترجع اليها صورها المنتزعة من المدركات المالوفة • فابن خلدون يسعى اذا لتعليل الرؤيا تعليلا وضعيا وهو في نظرية النبوة واستعداد النفس لبلوغ هذا التطور .(١٠٣)

الكون :- التطور التدريجي في الطبيعة والمجتمعات •

جعل ابن خلدون العالم المحسوس الجثماني اول المراتب لانه عالم العناصر المشاهدة • ثم تدرج بها صاعدا من الارض الى الماء ثم الى الهواء ثم الى النار • وقال ان كل واحد منها مستعد الى ان يستحيل الى ما يليه صاعدا او هابطا حتى ينتهي الى عالم الافلاك • ثم نظر الى عالم التكوين وبين كيف ابتداء الترتيب من المعادن الى النبات ثم الى الحيوان • وهنا جعل اخر افق المعادن متصلا باول افق النبات واخر افق النبات متصلا باول افق الحيوان • وقد اتسع عالم الحيوان وتعددت صوره حتى انتهى الى الانسان وهو صاحب النفس المدركة • فهو لا يعتقد ان التطور يتعلق ببعض صور الكون بل ان التطور يشمل جميع صور الوجود حتى انه طبقها على الحياة الاجتماعية والعمران ، وان هذا التطور يحدث تدريجيا من حالة الى حالة .(١٠٤)

وهذا ما جاء في مقدمته بكل وضوح : " وقد تقدم لنا الكلام في الوحي في اول فصل المدركين للغيب ، وبينا هنالك : ان الوجود كله ، في عوالمه البسيطة والمركبة ، على ترتيب طبيعي ، من اعلاها واسفلها متصلة كلها

---

(١٠٣) جميل صليبا ، ابن خلدون ، ص : ١٤ ، ١٥

(١٠٤) م • ن • ص : ١٦ ، ١٧

اتصالا لا ينحزم . وان الذوات التي في اخر كل افق من العوالم مستعدة لان تنقلب الى الذات التي تجاورها ، من الاسفل والاعلى ، استعدادا طبيعيا ، كما في العناصر الجسمانية البسيطة ، وكما في النخل والكرم ، افق النبات مع الحلزون والصدف من افق الحيوان ، وكما في القردة التي استجمع فيها الكيس والادراك ، مع الانسان صاحب الفكر والروية .(١٠٥)

يدلنا هذا على ان ابن خلدون يتشابه جدا مع داروين وان في نظرياته صلة قوية بالنظريات الداروينية .(١٠٦)

اللـــه :-

يعتقد ابن خلدون بالله ، ويقول بقدرته وعنايته ، ويعتبر نظام الكون ونظام المجتمع من سنن الله ، ويظهر اعتقاده هذا ، في كل فصل من فصول المقدمة بوسائل شتى . فالآيات القرآنية والاحاديث الشريفة تدل على اعتقاده بوحدانية الله ومشيئته وقدرته مثل هو الواحد القهار - لا شريك له وما الى هنالك من العبارات التي تتجلى فيها حماسته بكل وضوح . لكنه مع كونه مؤمنا ، صادقا في ايمانه الا انه لم يذهب الى ما ذهب اليه الكثيرون من رجال الدين الذين يحاولون تحكيم الشريعة في كل شيء . ذلك لاعتقاده ان مقاصد الشريعة وعنايتها محدودة بحدود لا تتعداها ، وان النبي صلى الله عليه وسلم انما بعث ليعلمنا مسائل التوحيد والمعاد التي لا سبيل الى معرفتها بالانظار العقلية وحدها . وابن خلدون يرى انه لا يمكننا الرجوع الى الاحكام الشرعية والمصادر الدينية في الامور التي لا تدخل في نطاق هذه المقاصد والغايات .(١٠٧)

---

(١٠٥) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٩٦

(١٠٦) ساطع الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٣٠٢

(١٠٧) م . ن . ص : ١١٨

ابن خلدون ونظرية المعرفة

تاسيس العلم على المشاهدة المحسوسة والفكر :

لقد عد مذهب ابن خلدون وضعيا لانه يؤسس العلم على المشاهدة المحسوسة والفكر • وقد انتقد نطاق العقل البشرى وطريقته في اكتساب العلوم بقوله : ان التوجه نحو التعقل يكون بقوة الفكر وهي القوة التي تنشاء العلوم عنها فتجرد المعاني الكلية من الجزئيات المحسوسة وتركبها على قوانين محصورة وترتيب خاص • وبهذا الراى يتشابه مع ارسطو وافلاطون لان النفس الانسانية متصلة على حد قوله ، كما بينا سابقاء من الجهة السفلى ، بالمدركات الجسمانية فتكتسب فيها المعرفة ، ومن الجهة العليا متصلة بالملا الاعلى الذى تقتبس منه علما.(١٠٨)

وقد اتبع اراء ارسطو وابن سينا في قدرة النفس على المرور من القوة الى الفعل فقال ان النفس توجد اولا بالقوة ثم تستعد لادراك الصور الكلية والجزئية فيتم نشوءها ووجودها بالفعل • ولذلك كان الصبي في اول نشاته لا يقدر على هذا الادراك لان صورة التعقل لم تتم له بعد ولم يتعود انتزاع الكليات من الموجودات الخارجية بقوة الفكر • فادراك النفس ما دامت في البدن على نوعين ادراك بالآت الجسم تؤديه اليها الحواس وادراك بذاتها من غير واسطة • والروح العاقل ما دام في بدنه جسماني فلا يمكن التصرف الا بالمدارك الجسمانية ، وهذه المدارك الجسمانية هي موضوع العلم • ولقوة الخيال عمل عظيم في انتزاع الصور

---

(١٠٨) جميل صليبا ، ابن خلدون ، ص : ٧

الخياليـة من الصـور المحسـوسة فتحفظهـا الى حين الحاجـة ثـم تجرد منهـا صـورا نفسـانيـة عقليـة فترتقـي بالتجريـد من المحسـوس الى المعقـول • فالخيال اذن واسـطة بين العالـم الجسـماني والعالـم الروحانـي • ولذلك كانت النفـس قـادرة على التطلـع الى ما فوقهـا فتلتفـت الى الملاء الاعلـى وهوعالـم الادراك المحض والعقـول الفارقـة وعالـم الصـور والذوات الروحانيـة فيتجلـى فيها شـيء من تلك الصـور وتقتبـس منهـا علـومـا • وربمـا دفعـت تلك الصـور المدركـة الى الخيـال فيصـرفه في القوالـب المعتادة ثـم يراجـع الحـس به ليتحقـق مطابقتـه لـه • فالنفـس اذن في مذهب ابن خلـدون تنظـر في اقتباس العلـوم تـارة الى المـلاء الاعلـى وطـورا الى الحضيـض الاسـفل •

والنفـوس البشـرية او بالاحـرى اكثـرها عاجـزة بالطبـع عن الوصـول الى الادراك الروحانـي لاتصالهـا بالمدارك الحسـية التي تنشـاء عنهـا العلـوم • وهذا الادراك محـدود الافـق لانـه ينتهـي الى البديهيـات الاولـى ولا يتجاوز حـدودهـا • فالمعرفـة تكتسـب اذن عن طريـق المـدارك الحسـية ضمـن نطـاق الفكـر • ولا مجال للشـك في احكـام العقـل بالنسـبة الى الامـور الجزئيـة لان احكامـه صادقـة في الاشـياء التي لا تخـرج من طـوره • ومن هنـا نتبيـن ان ابن خلـدون اهتـم في مباحثـه في تحصيـل اليقيـن فيمـا هو مـدرك محسـوس لا فيمـا هو بعيـد عن الحـس والتجربـة .(١٠٩)

حـدود العقـل :-

ان العقـل لا يسـتطيع ان يصـل الى اليقيـن اذا خـرج عن طـوره وتجاوز حدود امكانيـاته • ولا يسـتطيع الاحاطـة بالكائنـات واسـبابها القصـوى ويمكـن ان يكـون هنـاك نـوع من الادراك فـوق ما يسـتطيع ادراكـه ، يمكنـه الاطلاع على حقيقـة الوجـود واسـبابه المطلقـة • الا ان مداركنـا الحسـية تقصر

---

(١٠٩) جميـل صليبـا ، ع • س • ص : ٨ - ١٠

عن بلوغه • فالعقل بنظر ابن خلدون محدود من حيث ادراكه الاشياء ولا يمكن ان يوزن به امور التوحيد والاخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الالهية • ولهذا السبب لم يبحث ابن خلدون الماورائيات اى مسائل ما بعد الطبيعة لاعتقاده انه لا يمكن الوصول فيها الى حل ولكل شيء ميزانه • وقد اعتقد هكذا اغوست كونت وكانت •(١١٠)

يمكننا ان نرى ان نظرية المعرفة ، في راى ابن خلدون ،على ان انواع المعارف تدرك بانواع من الوسائل ، فكما ان الاصوات تدرك بالسمع دون البصر ، والالوان بالبصر دون اللمس كذلك المجردات لكل من انواعها وسيلة خاصة يدرك بها • ومن هنا قسم ابن خلدون المجردات الى قسمين : المدركات العقلية ، والحقائق الروحية فيكون وسيلة الاولى العقل المستنير بالمنطق ويكون وسيلة الثانية الالهام الالهي الذى خص به الله الانبياء والاولياء من عباده •(١١١)

بالنظر لما كتبه المفكرون من حقائق فقد اعتقد ابن خلدون ان الفلاسفة الالهيين قد اعتمدوا في اثبات حقائق علمهم على غير الوسيلة اللائقة ، اذ نشدوا الحقائق الروحية بالعقل ، وحكموا فيها بالمنطق فكان هذا احدى الاخطاء التي ارتكبوها في اصول فلسفتهم الغيبية • فالروحانيات كما قال ابن خلدون - ليست من طور العقل ، كما ان الاصوات ليست من طور البصر فلا يمكن اذا اعتبرنا هذه الحالة ،التوصل بالعقل الى الحقائق الروحانية كما انه لا يمكن ان نتحقق الاصوات بواسطة البصر • ويعطي على ذلك مثلا فيقول ان الميزان الذى يستعمل لوزن الذهب لا يمكن ان تزن به الجبال • وبهذا التعبير لم ينف ابن خلدون وجود الحقائق الروحانية ، ولكن يعني ان ما يقرره العقل بشان هذه الحقائق ليس

---

(١١٠) جميل صليبا ، ع • س • ص : ١٠ ، ١١

(١١١) كمال يازجي وانطون كرم ، اعلام الفلسفة العربية ، ص : ٩٥٩

بالضرورة صحيحا ، فعلم الفلاسفة في ما وراء الطبيعة لا معول عليه ، وانما المعول في هذا الموضوع على قوة نفسية روحية ، خصها الله بالانبياء والاولياء فمنهم المحور الذى يرتكز عليه هذا الموضوع ." وابن خلدون ، اذ اخرج الماورائيات من نطاق العقل ، جعل في مكانها شؤون المجتمع ، لانه وجد انها من طوره . وهو في موقفه من الغيبيات - مثال الفقيه المتحفظ ، كذلك هو في نظره الى الانسانيات مثال العالم الدقيق . ذلك انه لم يتابع المتكلمين في ابطال ناموس العلة جملة ، انتصارا للشريعة ، بل منع ان يكون الحكم في الامور الغيبية للعقل ، وقرر صلاحية العقل للنظر في ظواهر الطبيعة وشؤون الانسان بالاطلاق ، واثبت القواعد التي وضعها العقل وكشفها البحث ، واشاد بها في معرفة الحقائق وفي الانتفاع بها . فنشاء عن ذلك ان ادخل التاريخ - وهو سجل الشؤون الانسانية ، في نطاق العقل ، واخضعه للسنن الطبيعية ، لا سيما ناموس العلة ."(١١٢)

---

(١١٢) كمال يازجي وانطون كرم ، ع . س . ص : ١٦٠

نظـرة ابـن خلـدون الـى القيـم

يعتبـر ابن خلـدون الخلال الحميـدة من اهـم الصفـات التـي يجب ان يتحلـى بهـا الانسـان ، اذ ان الانسـان بطبيعتـه اقـرب الى خلال الخيـر من خـلال الشـر . ويعتبـر ان هذه الخلال الحميـدة هي اساس الملك اذ ينتـج عنها حب الخيـر ومراعـاة مصالـح الامـة كما ان الشـرائع واحكـام البشـر تشـهد بذلك . فهـو يقـول "فقـد تبيـن ان خلا ل الخيـر شـاهدة بوجـود الملك لمن وجدت لـه العصبية ، فاذا نظـرنا في اهـل العصبيـة ومـن حصـل لهـم من الغلـب على كثيـر من النواحـي والامـم فوجدنـاهم يتنافسـون في الخيـر وخلالـه من الكـرم والعفـو عن الزلات والاحتمال من غيـر القـادر ،والقرى للضيـوف وحمـل الكل وكسـب المعدم والصـبر على المكارة والوفـاء بالعهـد وبذل الامـوال في صـون الاعـراض وتعظيـم الشـريعة ، واجلال العلمـاء الحامليـن لهـا والوقـوف عند ما يحددونـه لهـم من فعل او تـرك وحسـن الظـن بهم واعتقـاد اهـل الديـن والتبـرك بهـم ورغبـة الدعـاء منهـم والحيـاء من الاكابـر والمشايخ وتوقيرهـم واجلالهـم والانقيـاد الى الحـق مع الداعي اليـه وانصاف المسـتضعفين من انفسـهم والتبذل في احوالهـم والانقيـاد للحـق والتواضـع للمسـكين واستماع شـكوى المسـتغيثيـن والتديـن بالشـرائع والعبادات والقيـام عليهـا وعلى اسـبابها والتجافـي عن الغـدر والمكـر والخديعـة ونقض العهـد وامثـال ذلك ، علمنا ان هـذه خلـق السياسـة قد حصلـت لديهـم واسـتحقـوا بها ان يكـونوا سـاسة لمـن تحـت ايديهـم او على العمـوم ، وانـه خيـر سـاقـة اللـه تعالـى

اليهـــم ."(١١٣)

فاذا اردنـا ان نستخلص القيـم الاخلاقيـة والخلال الحميـدة ممـا تقـدم نجـد ان ابـن خلـدون لـم يتـرك صغـة او ناحيـة اخلاقيـة الا واشـار اليهـا واعتبـرها من المـزايا التي يجب ان يتحلـى بها الانسـان لكي يسـتطيع ان يسـوس غيـره او ان يكـون اهلا لادارة الشـؤون الكبـرى وتحمل المسؤوليات .

وكمـا انه يـرى ان هذه الخلال الحميـدة هي اسـاس الملك والسياسة فانـه يـرى ايضـا ان المذمـومات وانتحـال الرذائـل يكـون سـببا فـي انقـراض الملـك : "وبالعكـس من ذلك اذا تـاذن اللـه بانقـراض الملك مـن امـــة حملهـم على ارتكـاب المذمـومات وانتحـال الرذائـل وسـلوك طرقهـا فتفقـد الفضائل السـياسـية منهـم جملـة ولا تـزال في انتقـاص الى ان يخـرج الملك من ايديهم ويتبـدل به سـواهم ليكـون نعيـا عليهـم في سـلب ما كان اللـه قد اتاهـم من الملـك وجعـل في ايديهـم من الخيـر".(١١٤)

وقـد اشـار ابن خلـدون الى القيـم الاخلاقيـة في اثنـاء حديثـه عن الديـن والدولـة . وقـد اشـرنا سـابقا الى دور الديـن كمربـي في المجتمع وانـه ضـرورى من حيث هو مهـذب للاخلاق وللنفـوس البشـرية ومن حيـث هـو باعث علـى التضـامن والتحالـف في سـبيل المصلحـة العامـــة .

---

(١١٣) ابن خلـدون ، مقدمـة ابن خلـدون ، ص : ١٤٣

(١١٤) م . ن . ص : ١٤٤

العلم والتعليم

هذه اهم الخطوط الرئيسية لنظريات المعرفة والغيبيات والقيم عند ابن خلدون . ويمكننا الان بعد ان اطلعنا على هذه النظريات وعلى طبيعة الفرد والمجتمع والدين ان نستخلص اهم الامور المتعلقة بالعلم والتعليم واهدافه لانها كما قلنا سابقا مستوحاة من طبيعة الفرد والمجتمع وهذه النظريات ، كما لا يخفى ان العلم هو احد العوامل المؤدية الى تقدم المجتمع ونموه بل هو اهمها على الاطلاق .

العلم والتعليم ظاهرة اجتماعية :-

كنا قد اشرنا سابقا ان ابن خلدون ميز الانسان عن الحيوان بفكره الذى يساعده على شق طريقه في الحياة والسعي وراء العيش والمعرفة فهو ابدا يجد في طلب العلم واستطلاع طبائع الامور . والانسان يبحث بفطرته عمن يمكنه تزويده بالمعارف التي يبغي معرفتها ويكرر ويستعرض تلك المعارف ، ويدرسها حتى يعرفها او كما يقول ابن خلدون - حتى "يحذقها وتتكون لديه ملكة لها" . وبهذه الطريقة ينشاء التعليم في المجتمع ، وذلك عن رغبة العقل الانساني في السعي وراء المعرفة وايجاد السبل للوصول اليها واتقانها . "فالعلم والتعليم طبيعي في البشر" والمجتمعات لا تخلو منها وهي تتقدم كلما يتقدم المجتمع وترتقي كلما ارتقت الحضارة في تلك المجتمع .

ويعتبر ابن خلدون ان التعليم هو صناعة من تلك الصناعات التي

تنشـاء في المجتمـع ، وهي تنشـاء تدريجيـا على حسـب ضـروريـات الحيـاة في المجتمـع ، فكلمـا تعقـد المجتمـع تعقدت الصناعـات ، لذلك كانت الصناعات في المجتمعـات المتحضـرة صنائـع كماليـة "مركبـة" وهي لا تنشـاء الا فـي هذه المجتمعـات وليـس في البسـيطة منهـا . ومن هذه الصناعـات الغنـاء والفنـون وتعليـم العلـم .

ولكي يتعلـم الانسـان صناعـة ما او يحذقهـا لا بـد له مـن ان يفهمهـا ويمارسـها فيتكـون له بذلك ملكة بعد هذا التكـرار والفهـم ، فيكتسب بذلك مهـارة في معرفتهـا وادائهـا . وقد اعتبـر ابن خلـدون ان هذه الملكـة في الصناعـة انمـا تتم بواسـطة العمـل الفكـرى . ولما كان اسـتيعاب العلـم وفهمـه "انما هو بحصـول ملكة في الاحاطـة بمبادئـه وقواعـده والوقـوف علـى مسـائلـه واسـتنباط فروعـه من اصولـه" ، فان تعليـم العلـم هو صنعـة ضمـن تلك الصنائـع المختلفـة . والصنائـع في المجتمـع هي وسـائل لكسـب العيـش وهي ضـرورية للافـراد ولتسـهيل مهماتهـم . لذلك فان طلب العلـم والسـعي وراء المعرفـة والتعليـم هي وسـائل ايضـا لكسـب الـرزق في المجتمـع بالاضافـة الى كونهـا نتائـج صحيـة لنشـاط العقـل البشـرى .

ومـن خلال فلسـفة ابن خلـدون الاجتماعيـة يمكننـا ان نـرى ان هـذه الفلسـفة قد وجهتـه وجهـة واقعيـة مـاديـة في شـؤون العلـم والتعليم ذلك لانـه لـم يفـرق بين التعليـم العقـلي والتعليـم العملـي بل جعل القـوى العقليـة ترتبـط مـع القـوى الجسـمانيـة للتعـاون في اكتسـاب عمل او مهـارة مـا . ذلك لان كل ملكـة تكـون لـدى الانسـان لا تتم الا بواسـطة القـوى الفكـرية الجسـمانية . وهذا ما يدعـو للاعجـاب اذ ان ابـن خلـدون باتجاهـه هذا وتفكيـره يتفـق اتفاقـا كبيـرا مع احـدث النظـريات النفسـية في طريقـة التعليـم .

الى جانب هذا اعتقـد ابن خلـدون ان العلـم والتعليـم ليسـا

نشاطا تامليا مجردا عن الحياة بل انهما ظاهرة اجتماعية ناتجة عن نمو المجتمع وتطوره في الحضارة وهما وليدا الحياة المتحضرة ويعملان على بقائها والرقي بها .(١١٥)

اهداف التعليم : يتبين مما تقدم ان هنالك اربعة اهداف رئيسية للتربية بنظر ابن خلدون . واول هذه الاهداف هو ان التعليم يعطي الفرصة للفكر كي ينشط ويعمل لان ذلك ضرورى لتفتح الفكر ونضجه . ولا شك ان هذا الفكر المتفتح الناضج سيعود بالفائدة على المجتمع ذلك انه داة لتقدم العلوم والصنائع والفنون وخلافها في الحياة الاجتماعية .

والهدف الثاني من التعليم هو ان الانسان يهدف دائما الى السعي وراء المعرفة والى الالمام بنواحيها المختلفة وبهذا يستطيع ان يحيا حياة افضل في مجتمع راق متحضر .

والهدف الثالث هو تنمية الخلال الحميدة التي تعتبر من اهم الصفات التي يجب ان يتحلى بها الانسان . ويعتقد ابن خلدون بان الدين ضرورى لايجاد هذه الصفات في المجتمع من حيث هو مهذب للاخلاق وللنفوس البشرية كما انه يساعد على التضامن وعلى بعث روح التعاون في النفوس .

والهدف الرابع من العلم بنظر ابن خلدون هو ان الالمام بالعلوم والصنائع وكسب المهارة في خدمتها وانتقالها يمهد سبل كسب العيش . فكما راينا سابقا ان ابن خلدون جعل التعليم احدى المهن التي تستغل للكسب والارتزاق .

---

(١١٥) فتحية حسن سليمان ، بحث في المذهب التربوى عند ابن خلدون ، ص : ٢٦

علم النفس التربوي :

لم يخصص ابن خلدون في مقدمته فصلا معينا عن علم النفس ولم يعرف هذا العلم او يطرقه بصورة مباشرة . ولكنه اتى على ذكر بعض الاراء والنظريات النفسية عرضا في اماكن مختلفة من المقدمة . وسنحاول ان ناتي على ذكر الاهم منها مما يضفي نورا على بحثنا ويتعلق بصورة خاصة بالتعليم .

الملكات : في مقدمة ابن خلدون نظرية واسعة النطاق عن "الملكات" تتناول كيفية تكونها من جهة ، وعملها في حياة الانسان العقلية والعملية من جهة اخرى .

فالملكة التي يتحدث عنها ابن خلدون هي الصفة الراسخة التي تكتسبها النفس من جراء التكرار والممارسة ، والتي تؤدي الى حصول الاعمال الفكرية والجسدية بسرعة وسهولة ، اذ تجعلها بمثابة "الجبلة والفطرة" فهو يقول : "الملكة ، صفة راسخة في النفس ، تحصل عن استعمال الفكر وتكرره مرة بعد اخرى ." (١١٦)

"الصناعة ملكة في امر عملي فكري" .

"اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة . واذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني ." (١١٧)

"ان الخدمة في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه ، انما هو بحصول ملكة في الاحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من اصوله . وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الخدمة في ذلك الفن المتناول حاصلا .

---

(١١٦) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٠٠

(١١٧) م . ن . ص : ٥٥٤

وهـذه الملكـة هي غيـر الفهـم والوعـي ، لاننـا نجد فُهـم المسـالة الواحدة من الفـن الواحـد ووعيهـا مشـتركا بين من شـدا في ذلك الفـن وبين مـن هـو مبتـدئ فيـه ، وبيـن العاقـي الذى لـم يعرف علمـا وبين العالم المحرر . والملكـة انما هي للعالـم او الشـادى في الفنـون دون من سـواها "(١١٨)

يقـول الاسـتاذ سـاطع الحصـرى ، ان نظـرية ابن خلـدون فـي الملكـات ، تسـتند الى ملاحظـة مبـداء نفسـي عـام : ان كل فعـل مـاديـا كان او معنـويـا ، فكـريا كان او بدينـا لا بـد من ان يتـرك اثـرا في النفس . فاذا تكـرر الفعـل ، وتكـرر اثـره في النفـس ، تولـد من ذلك صفـة ، ثم رسخت تلك الصفـة ، فكـونت ملكـة . والملكـة التي تحـدث على هذا المنـوال من جـراء تكـرر الفعـل ، تنمـو شـيئا فشـيئا ، تبعـا لهذا التكـرار ، كانهـا تتغذى به (١١٩) "الملكـات لا تحصـل الا بتكـرار الافعـال . لان الفعـل يقـع اولا ، وتعـود منـه للذات صفـة ، ثـم تتكـرر ، فتكـون ملكـة ، اى صفـة راسـخة "(١٢٠)

بعـد ان يقـرر ابن خلـدون هذه الامـور يردهـا الى قانـون نفسـي عـام . فيقـول ان النفـس الانسـانية وقـواها المختلفـة لا تظهـر دفعـة واحدة ولا كاملـة ، بل انهـا تخـرج من القـوة الى الفعـل شـيئا فشـيئا ، فتنمـو وتنشاء تدريجيـا : " ان النفـس انما تنشـاء بالادراكات وما يرجـع اليهـا من الملكات " .

يتتبـع ابن خلـدون كيفيـة تكـون الملكـات في شـتى الميادين ، من الاخـلاق الى العلـوم والصنائـع والعبـادات :

"الملكـة الشـعرية تنشـاء بحفظ الشـعر ، وملكـة الكتابـة بحفـظ الاسـجاع والترسـل ، والعلميـة بمخالطـة العلـوم والادراكات والابحـاث والانظـار ، والفقهية

---

(١١٨) ابن خلـدون ، م . س . ص : ٤٣٠

(١١٩) سـاطع الحصرى ، دراسات عن مقدمـة ابن خلـدون ، ص : ٤٢٤

(١٢٠) ابن خلـدون ، مقدمة ابـن خلـدون ، ص : ٥٥٤

بمخالطة الفقه وتنظير المسائل وتفريعها وتخريج الفروع على الاصول ، والصوفية الربانية بالعبادات والازكار وتعطيل الحواس الظاهرة بالخلوة والانفراد عن الخلق ما استطاع ".(١٢١)

يلاحظ ابن خلدون "ان الصنائع والملكات لا تزدحم "ويعلل ذلك بما يلي : ان الملكات صفات للنفس ، والنفس اذا اتصفت بصفة ما ، يصعب عليها ان تتصف بصفة اخرى ، ولا سيما اذا كانت هذه الصفة مخالفة للاولى . وتعبير اخر : "ان النفس تتلون بالملكات ، فاذا تلونت بلون من الالوان يصعب عليها قبول لون اخر ، غير اللون الاول ".(١٢٢)

يقرر ابن خلدون الى جانب هذا ان من تملكت في نفسه موهبة او ملكة وحذق صناعة ما ، تطغي هذه الموهبة على حواسه فتتلبس بها وتمنع بعد ذلك على هذه الحواس ان تتقبل بنفس الامكانية وبذات درجة الحذق الموهبة الجديدة او الصنعة الجديدة . واذا وجد شخص يجيد اكثر من صنعة ويتقنها بنفس الاتقان فان ذلك نادرا ما يكون . وانه لا بد ان يكون قبول النفس للموهبة او الملكة الجديدة اقل منه للموهبة السابقة المتملكة . ويجدر النظر ان من اراد ان يتمرس ويتقن صناعة ما او علما ما يجب ان يكون هذا العلم قد اخذ والنفس لا تزال على الفطرة اى نظيفة وقابلة للاخذ بدون تشويش وبذلك تنمو الموهبة مع نمو الانسان وتكبر معه .(١٢٣)

لقد راى ابن خلدون ان الملكات مكتسبة ، وراى ايضا ان قوة ملكة لا تقوى الاخرى .

---

(١٢١) ابن خلدون ، ع . س . ص : ٥٧٨

(١٢٢) ع . ن . ص : ٥٦٩

(١٢٣) ع . ن . ص : ٤٠٥

وعلم النفس يقرر ان العقل وحدة كاملة لا يمكن تجزئتها ، ولا تقسيمها الى قوى ، وان اعماله متصلة ، وان تمرين ملكة واحدة وتقويتها في ناحية معينة يقويها في هذه الناحية وحدها ، ولا يحدث اى تغيير جوهرى في النواحي الاخرى لهذه الملكة او لغيرها .

نرى مما تقدم ان علم النفس الحديث يتفق مع ابن خلدون في ان تقوية ملكة لا يؤدى الى تقوية ملكة اخرى ، ويخالفه في تقسيمه الاعمال العقلية الى ملكات منفصلة ، لهذا لا يرى ان من العسير على شخص ان يجيد صناعتين او عملين في ان واحد ، او في زمنين متعاقبين .

ولكن مهما كان هذا الامر فهو لا يمنعنا من ان نعتبر ان نظرية الملكات التي اشرنا اليها سابقا هي من اهم الاسس التي يبني عليها ابن خلدون آراءه في التربية والتعليم .

الفطرة : لابن خلدون في فطرة الطفل ثلاثة آراء مختلفة : -

(١) يقول ان اهل البادية اقرب الى الخير من اهل الحاضرة ، لان نفوسهم وهي على الفطرة استبقت اليها عوامل الخير فقربتها من الخير ، اما الحضر فقد اسرعت اليهم عوامل الشر فادنتهم من الشر ، ويستدل على ذلك بقوله (ص) : "كل مولود يولد على الفطرة ، فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه "(١٢٤) فابن خلدون هنا يريد ان يبين ان طبيعة الطفل نقية صافية تخلو من الشر والخير معا .

(٢) يقول بعد ذلك " اعلم ان الله سبحانه ركب في طبائع البشر الخير والشر ، كما قال تعالى : "وهديناه النجدين " وقال : فالهمها

---

(١٢٤) ابن خلدون ، م . س . ص : ٢١٧

فجورها وتقواها ." والشر اقرب الخلال الى الانسان اذا اهمله في مرعى عاداته ، ولم يهذبه الاقتداء بالدين ، وذلك شان الاكثرين الا من عصم الله ووفقه . ومن اخلاق البشر الظلم والعدوان ، فمن امتدت عينه الى متاع اخيه امتدت يده الى اخذه ، الا ان يصده وازع ." (١٢٥)

يتبين لنا هنا ان ابن خلدون يرى ان الانسان بفطرته اقرب الى الشر ميال اليه ما لم يردعه عن ذلك وازع منه او دين .

(٣) يقول في موضع اخر ان الانسان اقرب الى خلال الخير باصل فطرته ، وقوته الناطقة العاقلة ، لان الشر انما جاءه من قبل القوى الحيوانية التي فيه ، واما من حيث انه انسان فهو الى الخير وخلاله اقرب .

وهنا نرى ان ابن خلدون يعود فيقرر ان الانسان اميل الى الخير بطبعه ، وعلى هذا فاننا لا نستطيع ان نوفق بين هذه الاراء الثلاثة لانها متضاربة . وقد يزول هذا التناقض الظاهر في اراء ابن خلدون اذا علمنا انه يقرر بان الانسان اميل الى الخير بطبيعة نفسه ، او روحه ، الخيرة ، وانه اميل الى الشر بسبب القوى الحيوانية المسيرة لبدنه . لكننا نقول ان الطفل يولد وهو كالصفحة البيضاء نقيا صافيا من الخير والشر معا ، لكنه مستعد لها جميعها . والعلم يقر ذلك لان الطفل بعد ان يولد يتغير ويتكيف بحسب ميوله واستعداداته وحسب البيئة وحوادثها وموثراتها .

بالاضافة الى ما مر سابقا فقد وردت ملاحظات نفسية متفرقة في عدة مواضع من المقدمة سناتي على ذكر اهمها : -

---

(١٢٥) ابن خلدون ، ع . س . ص : ٢٢٥

يقرر ابن خلدون تاثير التشيع في المحاكمات الذهنية ، ويعبر عن هذا التاثير بكل وضوح : " ان النفس اذا كانت في حالة الاعتدال في قبول الخبر اعطته حقه من التمحيص والنظر ، حتى تتبين صدقه من كذبه . واذا خامرها تشيع لراى او نحلة ، قبلت ما يوافقها من الاخبار لاول وهلة ، وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص ".(١٢٦)

يتكلم ابن خلدون عن كيفية تكون الطبائع والسجايا ، من جراء الالفة والمران :

"الانسان ابن عوائده ومالوفه ، لا طبيعته ومزاجه".(١٢٧)

"ان تكون السجايا والطبائع انما هو من المالوف والعوائد ".(١٢٨)

"ان العوائد تقلب طباع الانسان الى مالوفها فهو ابن عوائده لا ابن نسبه ".(١٢٩)

"ان النفس اذا الفت شيئا صار من جبلتها وخلقتها".(١٣٠)

"اذا الف الانسان بعض الاحوال ، صار ذلك له خلقا وملكة وعادة ، تنزل منزلة الطبيعة والجبلة ".(١٣١)

يميز ابن خلدون الحوادث النفسية الاطلاعية من الانفعالية :

"ان الانسان بما هو انسان انما يتميز عن سائر الحيوان بالادراك . وادراكه نوعان : ادراك للعلوم والمعارف ، من اليقين والشك والظن والوهم ، وادراك للاحوال القائمة ، من الفرح والحزن ، والقبض والبسط ، والرضا والغضب ، والصبر والشكر وامثال ذلك . فالروح العاقل والمتصرف في البدن تنشاء

---

(١٢٦) ابن خلدون ، ع . س . ص : ٣٥

(١٢٧) ع . ن . ص : ١٢٥

(١٢٨) ع . ن . ص : ١٣٨

(١٢٩) ع . ن . ص : ٣٨٤

(١٣٠) ع . ن . ص : ٦٠

(١٣١) ع . ن . ص : ١٢٥

من ادراكات وارادات واحوال . وهي التي يميز بها الانسان . وبعضها ينشاء عن بعض ، كما ينشاء العلم من الادلة ، والفرح والحزن عن ادراك الموءلم والمتلذذ به ، والنشاط عن الجمام والكسل عن الاعياء ".(١٣٢)

التربية العقلية :-

حينما يتكلم ابن خلدون عن الصنائع والعلوم في بعض الفصول، يبين تاثير العلم في العقل . ففي الفصل المعنون "ان الصنائع تكسب صاحبها عقلا جديدا " يوضح ذلك بقوله : "ان اكتساب العلوم والصنائع يوءدى الى زيادة عقل الانسان ، ويفيد النفس الناطقة عقلا فريدا . والصنائع ابدا يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة . فلهذا كانت الحنكة في التجربة تفيد عقلا ، والحضارة الكاملة تفيد عقلا "... "والصنائع والعلوم يحصل منها زيادة عقل ".(١٣٣)

ويشرح ابن خلدون رايه هذا في موضع اخر بوضوح اشد ، اذ يقول في الفصل الذى يقرر "ان التعليم للعلم من جملة الصنائع" : "كل صناعة مرتبة يرجع منها الى النفس اثر يكسبها عقلا جديدا ، يستعد به لقبول صناعة اخرى ، ويتهياء بها العقل بسرعة الادراك للمعارف ... "(١٣٤) "حسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الاحوال العادية يزيد الانسان ذكاء في عقله واضاءة في فكره ، بكثرة الملكات الحاصلة للنفس" ان ما يظهر على اهل الحضر من اثار الذكاء والكمال في العقل "انما هو من رونق الصنائع والتعليم ، فان لها اثارا ترجع الى النفس".(١٣٥)

---

(١٣٢) ابن خلدون ، تاريخ العلامة ابن خلدون ، ص : ٨٤٣

(١٣٣) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٢٨

(١٣٤) ع . ن . ص : ٤٣٣

(١٣٥) ع . ن . ص : ٤٣٣

لا يكتفي ابن خلدون بتقرير هذا المبداء العام ، بل يتوسع في تطبيقه على عدة مواضيع ، في عدة علوم :(١٣٦)

يقرر في فصل الخط والكتابة ، "ان الكتابة اكثر افادة لزيادة العقل وتقوية ملكات الادراك والانتقال" ويعلل ذلك بما يلي : " لانها تشتمل على العلوم والانظار ، بخلاف الصنائع . وبيانه : ان في الكتابة انتقالا من الحروف الخطية الى الكلمات اللفظية في الخيال ، ومن الكلمات اللفظية في الخيال الى المعاني التي في النفس ، ذلك دائما ، فيحصل لها ملكة الانتقال من الادلة الى المدلولات . وهو معنى النظر العقلي الذى يكسب العلوم المجهولة . فيكسب بذلك ملكة من العقل ، تكون زيادة عقل ، ويحصل به قوة فطنة وكيس في الامور ، لما تعودوه من الانتقال ".(١٣٧)

وفي فصل الهندسة يقرر ابن خلدون انها تفيد صاحبها "اضاءة في عقله واستقامة في فكره" ويعلل ذلك بما يلي :
"لان براهينها كلها بينة النظام ، جلية الترتيب ، لا يكاد الغلط يدخل في اقسيتها ، لترتيبها وانتظامها . فيبعد الفكر بممارستها عن الخطاء ، وينشاء لصاحبها عقل على ذلك المهيع".(١٣٨)

يقرر ابن خلدون فائدة الحساب ايضا على هذا المنوال ، ويوصي لذلك بالبدء بالحساب في تعليم الولدان . فانه يقول في فصل العلوم العددية ما يلي :(١٣٩) "هذه الصناعة (صناعة الحساب) حادثة احتيج اليها للحساب في المعاملات . والف الناس منها كثيرا . وتداولوها في الامصار بالتعليم للولدان . ومن احسن التعليم عندهم

---

(١٣٦) ساطع الحصرى ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٤١
(١٣٧) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٢٩
(١٣٨) م . ن . ص : ٤٨٦
(١٣٩) ساطع الحصرى ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٤٢

الابتداء بها . لانها معارف متضحة وبراهين منتظمة ، فينشاء عنها في الغالب عقل مضيء درب على الصواب . وقد يقال من اخذ نفسه بتعليم الحساب اول امره ، يغلب عليه الصدق ، لما في الحساب من صحة المباني ومناقشة النفس ، فيصير ذلك خلقا ، ويتعود الصدق ، ويلازق مذهبا ."(١٤٠)

ويقول ابن خلدون في بحث الفلسفة - بعد ان يوصي بابطالها - "ليس له في علمنا الا ثمرة واحدة ، وهي شحذ الذهن في ترتيب الادلة والحجج ، لتحصيل ملكة الجودة والصواب في البراهين . وذلك ان نظم المقاييس وتركيبها على وجه الاحكام والاتقان ، هو كما شرطوه في صناعتهم المنطقية ، وقولهم بذلك في العلوم الطبيعية ، وهم كثيرا ما يستعملونها في علومهم الحكمية - من الطبيعيات والتعاليم وما بعدها - فيستولي على الناظر فيها ، بكثرة استعمال البراهين بشروطها ، على ملكة الاتقان والصواب في الحجج والاستدلالات ."(١٤١)

يتبين من كل ذلك ان ابن خلدون كان يعتقد بتاثير العلم "التربوي" وان لم ينعت ذلك بتعبير خاص . ومن خلال كلامه عن التعليم ، يلاحظ ما يحصل في نفس المتعلم من "الانتقال" Transfert حسب تعبير العلم الحاضر ، من جراء التعليم . ويقرر ان تاثير التعليم لا ينحصر في العقل وحده ، بل يتعداه الى الاخلاق ايضا ، وبتعبير اخر : ان "الانتقال" من التعلم يكون فكريا وخلقيا في وقت واحد .(١٤٢)

منشاء التعليم : -

يبحث ابن خلدون عن منشاء التعليم ، بجانب منشاء العلم

---

(١٤٠) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٨٣

(١٤١) ع . ن . ص : ٥١٩

(١٤٢) ساطع الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٤٣

ويقرر ان "العلم والتعليم طبيعي في العمران البشرى" ويعلل ذلك بما يلي : "ان الانسان يتميز عن الحيوانات بالفكر الذى يهتدى به لتحصيل معاشه ، والتعاون عليه بابناء جنسه ، والاجتماع المهيء لذلك التعاون ، وقبول ما جاءت به الانبياء عن الله تعالى ، والعمل به واتباع صلاحه ، فهو يفكر في ذلك كله دائما لا يفتر عن الفكر فيه طرفة عين . بل اختلاج الفكر اسرع من لمح البصر . ومن هذا الفكر تنشاء العلوم وما قدمناه من الصنائع . ثم من اجل هذا الفكر ، وما جبل عليه الانسان بل الحيوان من تحصيل ما تستدفيه الطباع ، فيكون الفكر راغبا في تحصيل ما ليس عنده من الادراكات ، فيرجع الى من سبقه بعلم ، اوزاد عليه بمعرفة او ادراك ، او اخذه ممن تقدمه من الانبياء - الذين يبلغونه لمن تلقاه - فيلقن ذلك عنهم ويحرص على اخذه وعلمه ."(١٤٣)

"ثم ان فكره ونظره يتوجه الى واحد واحد من الحقائق وينظر ما يعرض له لذاته واحدا بعد اخر ، ويتمرن على ذلك ، حتى يصير الحاق العوارض بتلك الحقيقة ملكة له . فيكون حينئذ علمه بما يعرض لتلك الحقيقة علما مخصوصا" وتتشوف نفوس اهل الجيل الناشيء الى تحصيل ذلك ، فيفزعون الى اهل معرفته ، ويجيء التعليم من هنا ."(١٤٤)

يتبين لنا من هذا الكلام ان ابن خلدون ينظر هنا الى التعليم من زاوية عمله الاجتماعي ، ويقرر بانه "افعولة اجتماعية" . حسب تعبير ساطع الحصرى . كان المفكرون يعرفون التوبية والتعليم تارة حسب غاياتها وطورا حسب وسائطها . ولكنهم في اخر الامر صاروا يلاحظون انها افعولة اجتماعية ، فاخذوا يعرفونها حسب علاقاتها بالحياة الاجتماعية(١٤٥)

---

(١٤٣) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٢٩ - ٤٣٠

(١٤٤) م . ن . ص : ٤٣٠

(١٤٥) ساطع الحصرى ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٤٤

وما جاء به ابن خلدون في هذا الصدد ، في الربع الاخير من القرن الرابع عشر ، له اهمية كبرى من هذه الوجهة ، لانه يدل دلالة واضحة على انه نظر الى القضية نظر "المفكر الاجتماعي" ، ولاحظ ان الجيل الناشئ يتشوق الى تلقي العلوم والمعارف من الجيل الذى سبقه ، فرد بذلك منشاء التعليم الى هذا "الواقع الاجتماعي".(١٤٦)

يلاحظ ابن خلدون امرا مماثلا لذلك في الصناعات والاداب والتقاليد ايضا ، لانه يقول في الفصل الذى يقرر "ان التعليم للعلم من جملة الصنائع".

"ان الحضر لهم اداب في احوالهم في المعاش والمسكن والبناء وامور الدين والدنيا ، وكذا سائر اعمالهم وعاداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم . فلهم في ذلك كله اداب يقف عندها في جميع ما يتناولونه ويتلبسون به من اخذ وترك ، حتى كانها حدود لا تتعدى . وهي مع ذلك صنائع يتلقاها الاخر عن الاول منهم".(١٤٧) فقوله "يتلقاها الاخر عن الاول" لا يختلف في الدلالة والمعنى عن قول المفكر الاجتماعي المشهور "اميل دوركهايم" عندما عرف التربية في اوائل القرن الحالي انها "التاثير الذى يجريه الجيل الواشد في الجيل الناشئ".(١٤٨)

يرى ابن خلدون ان هنالك علاقة قوية بين العلوم وبين الصنائع ، ويستعمل كلمة التعليم بمعنى شامل ، يتناول العلوم من جهة ، والصنائع من جهة اخرى . فهو يقول : "ان الصنائع لا بد لها من العلم" "وان التعليم للعلم من جملة الصنائع".(١٤٩)

---

(١٤٦) ساطع الحصرى ، ع . س . ص : ٤٤٤

(١٤٧) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٣٣

(١٤٨) ساطع الحصرى ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٤٥

(١٤٩) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٣٠

يذهب بعدها الى تعريف ماهية الصناعة فيقول : "الصناعة هي ملكة في امر عملي فكرى" . ثم يوضح نظره الى العلم فيقول : "الحذق في العلم هو بحصول ملكة في الاحاطة بمبادئ ذلك العلم وقواعده" وبما انه يعتقد ان الملكات كلها سواء كانت في البدن او في الدماغ ، تفتقر الى التعليم فيقول : "ولهذا كان السند في التعليم ، في كل علم او صناعة الى مشاهير المعلمين فيها ، معتبرا في كل افق وجيل" . (١٥٠)

تطور التعليم ونشوئه : -

ينظر ابن خلدون الى تطور التعليم ونشوئه بنزعة اجتماعية لانه يلاحظ التأثير باحوال المجتمع الى حد كبير ، ويتقدم ويتاخر مع هذه الاحوال ، وذلك في ميداني العلوم والصناعة على حد سواء . (١٥١)

لذلك فهو يقول في فصل من الفصول "ان الصنائع انما تكمل بكمال العمران الحضرى وكثرته" وفي فصل اخر "ان الصنائع انما تستجاد وتكثر اذ كثر طالبها" وان العلوم انما تكثر حيث تكثر العمران والحضارة (١٥٢)

يقول ابن خلدون : "ان الصنائع والعلوم انما هي للانسان من حيث فكرة الذى يتميز به عن الحيوانات ، والقوت له من حيث الحيوانية والغذائية ، فهو مقدم عليه لضروريته على العلوم والصنائع ، وهي متاخرة عن الضرورى . وعلى مقدار العمران تكون جودة الصنائع للتانق فيها حينئذ ، واستجادة ما يطلب منها ، بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة . واما العمران البدوى او القليل فلا يحتاج من الصنائع الا البسيط بخاصة

---

(١٥٠) ابن خلدون ، م . س . ص : ٤٣٠

(١٥١) ساطع الحصرى ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٤٦

(١٥٢) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٣٤

المستعمل في الضروريات ... واذا وجدت فيه لا توجد كاملة ولا مستجادة ، وانما توجد فيها بمقدار الضرورة ، اذ هي كلها وسائل الى غيرها ،وليست مقصودة لذاتها ." (١٥٣)

ويقول ابن خلدون في فصل اخر "ان الصنائع تستجاد وتكثر اذ اكثر طالبها " ويعلل ذلك بما يلي :

"والسبب في ذلك ظاهر ، وهو ان الانسان لا يسمح بعمله ان يقع مجانا ، لانه كسبه ومعاشه " . اذ لا فائدة له في جميع عمره في شيء مما سواه .فلا يعرفه الا فيما له قيمة عنده ، ليعود عليه بالنفع . وان كانت الصناعة مطلوبة وتوجه اليها النفاق ،كانت حينئذ الصناعة بمثابة السلعة التي تنفق سوقها وتجلب للبيع . فتجتهد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة ليكون منها معاشهم . واذا لم تكن الصناعة مطلوبة لم تنفق سوقها ، ولا يوجد قصد الى تعلمها ، فاختصت بالترك وفقدت للاهمال ." (١٥٤)

ويقول في الفصل الذى يقرر "ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة " :

"ان تعليم العلم من جملة الصنائع . وقد كما قدمنا ان الصنائع فانما تكثر في الامصار ، وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة ، والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة . لانه امر زائد على المعاش . فمتى فضلت اعمال اهل العمران عن معاشهم ، انصرفت الى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الانسان وهي العلوم والصنائع . ومن تشوف بفطرته الى العلم ممن نشاء في القرى والامصار غير المتمدنة ، فلا يجد فيها التعليم الذى هو صناعي ، لفقدان الصنائع في اهل البدو كما قدمناه . ولا بد

---

(١٥٣) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ،ص : ٤٠١

(١٥٤) ع . ن . ص : ٤٠٣

لـه من الوحلـة في طلبـه الى الامصـار المسـتجرة ، شـان الصنائـع كلهـا"(١٥٥)

يكـرر ابـن خلـدون ويؤكـد هذه المبـادئ في عـدة فصـول من المقـدمـة اهمهـا ما جـاء في فصـول الخط والكتابـة .(١٥٦)

طريقـة التعليـم :-

يشـرح ابـن خلـدون طـرق التربيـة المختلفـة التي كانت متبعـة في المشـرق والمغـرب عند المسـلمين في عصـره باسـهاب ومقارنـات . لكنـه يلاحـظ عـدم كفايـة هذه الطـرق ويقتـرح طريقـة جديـدة مبتكـرة . وهو يـرى ان غايـة التربيـة هي اعـداد رجـال يسـتطيعـون العيـش جيـدا . فهـو يشبه اسـاطين التربيـة الحديثـة في ذلك ولا سـيما سـبنسـر ويختلـف عـن العلمـاء القدمـاء مثـل افلاطـون وارسـطو ومونتسـكيو في ان التربيـة هي اعـداد افـراد يسـتطيعـون تاليـف احسـن حكـومـة .(١٥٧)

ففـي الفصـل الذى يقـرر "في ان كثـرة التاليـف في العلـوم عائقـة عن التحصيـل" يقـول : "اعلـم انـه مما اضـر بالناس في تحصيـل العلـم والوقـوف على غايـاته كثـرة التاليـف واختـلاف الاصطلاحـات في التعليم ، وتعدد طرقهـا ، ثـم مطالبـة المتعلـم والتلميـذ باسـتحضار ذلك ، وحينئـذ يسـلم له منصـب التحصيـل فيحتـاج المتعلـم الى حفظهـا كلهـا او اكثـرها ومراعـاة طرقهـا ، ولا يفي عمـره بما كتب في صناعـة واحـدة اذا تجـرد لها ، فيقـع القصـور ولا بـد دون رتبـة التحصيـل ".(١٥٨)

ثـم يعطـي بعد ذلك مثـلا في تعلـم الفقـه والشـروحات الفقهيـة

---

(١٥٥) ابن خلـدون ، م . س . ص : ٤٣٤

(١٥٦) سـاطع الحصرى ، دراسات عن مقدمـة ابن خلـدون ، ص : ٤٤٨

(١٥٧) طـه حسـين ، فلسـفة ابن خلـدون الاجتماعيـة ، ص : ١٦٠

(١٥٨) ابن خلـدون ، تاريـخ العلامـة ابن خلـدون ، ص : ٩٩٩

فيقول ان المتعلم عليه باستحضار جميع كتبها وشروحاتها فيقضي عمره كله لكي يستحضر واحدا فيها .

ثم يقول : ولو اقتصر المتعلمون بالمتعلمين على المسائل المذهبية فقط لكان الامر دون ذلك بكثير وكان التعليم سهلا وماخذه قريبا ، ولكنه داء لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه ، فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحويلها ."(١٥٩) لم يكتف بهذا بل ذهب ينتقد معاصريه في نواحي اخرى . فهو في الفصل القائل "في ان كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم" يقول ان المتاخرين عمدوا كثيرا الى اختصار الطرق والانحاء في العلوم يؤلفون فيها برنامجا مختصرا في كل علم وذلك باختصار الالفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة . ويعتبر ذلك مخلا بالبلاغة وصعبا على الفهم ويقول ايضا "وهو فساد في التعليم وفيه اخلال بالتحصيل ، وذلك لان فيه تخليطا على المبتدئ بالقاء الغايات من العلم عليه ، وهو لم يستعد لقبولها بعد ، وهو من سوء التعليم ... ، ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع الفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها . لان الفاظ المختصرات تجدها لاجل ذلك صعبة عويصة ، فينقطع في فهمها حظ صالح من الوقت ."(١٦٠)

ثم يتحدث بعد ذلك عن الملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات فيقول انها ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة لان في الاخيرة يحصل التكرار والاحالة والاعادة ، هذه الاشياء المفيدة والمساعدة لحصول الملكة التامة . فاذا قل التكرار واختصر

---

(١٥٩) ابن خلدون ، ع . س . ص : ١٠٠٠

(١٦٠) ع . ن . ص : ١٠٠١

فتحصيل الملكة الغامضة صعب جدا لعدم تمكن المتعلم منها(١٦١)

واذا كان ابن خلدون قد انتقد المعلمين وطرقهم التعليمية في عصرهم لجهلهم بطبائع الاطفال ، فان في لدم روسو للمعلمين شيئا يشبه ما قاله ابن خلدون ، ذلك انهم راوا ان العلم لا يجدى الا اذا كان صعبا معقدا ، وقد قال هوفي مقدمة كتابه "اميل" ان كثيرا من هؤلاء المربين يخطئون في تربية الاطفال الصحيحة اذ انهم يعاملونهم كالرجال ، جاهلين ان عقولهم الصغيرة تعجز عن ادراك ما يدركه الكبار.(١٦٢)

يرى ابن خلدون ان التعليم صناعة خاصة غايتها اثبات ملكة العلم في نفوس المتعلمين لا حمل المتعلمين على حفظ فروع العلم . وهو يضع لتحقيق هذه النظرية قواعد عامة :

(١) مراعاة مقدرة المتعلم العقلية فيما يلقى اليه من نوع العلم ومقدار ذلك النوع : ففي فصل "في وجه الصواب في تعليم العلوم وطرق افادته" . يقول ان تلقين العلوم يجب ان يكون تدريجيا ، لا يكون دفعة واحدة بل على دفعات اى شيئا فشيئا . وعلى المعلم ان يراعي في ذلك التلميذ من حيث امكانياته العقلية واستعداده لقبول المادة التي يتعلمها فيحاول شرحها له على سبيل الاجمال . بهذه الطريقة تحصل له ملكة في ذلك تهيئه لفهم الفن وتحصيل مسائله ، لكن هذه الملكة تكون في بادىء الامر جزئية وضعيفة .

بعد هذا العمل الاول يعود المعلم بالمتعلم مرة اخرى ويعيد عليه ما تعلمه ثانية لكن بطريقة تختلف عن الاولى ، وذلك بالخروج عن الاجمال وباستيفاء الشرح والبيان ، ثم يبين اوجه الخلاف ويستمر في ذلك

---

(١٦١) ابن خلدون ، م . س . ص : ١٠٠٢

(١٦٢) احمد الحوفي ، مع ابن خلدون ، ص : ٧٤

الى اخر الفن عندها تجود الملكة . بعد هذه الخطوة يعود المعلم بالمتعلم ويشرح له كل صعب وعويص ، مبينا له النقاط الغامضة ثم يوضح له المادة بشكل يبعد عنها التعقيد ويكون ذلك سهلا لان المتعلم يكون قد استولى على ملكته .

"اعلم ان تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيدا اذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا ، يلقى عليه اولا مسائل من كل باب من الفن هي اصول ذلك الباب ، ويقرب له في شرحها على سبيل الاجمال ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه ، حتى ينتهي الى اخر الفن ، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم الا انها جزئية وضعيفة ، وغايتها انها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله ، ثم يرجع به الى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة الى اعلى منها ، ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الاجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه الى ان ينتهي الى اخر الفن فتجود ملكته ، ثم يرجع به وقد شد فلا يترك عويصا ولا مهما ولا مغلقا الا وضحه وفتح له مقفله فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته ".(١٦٣)

نرى من هذا الكلام ان ابن خلدون اراد التدرج بالمتعلم من السهل الى الاقل سهولة في ثلاث تكرارات ، فيعطي المتعلم في اول الامر اصول العلم وبسائطه الاولى ، فيتهيأ حينئذ عقله لقبول جوامع ذلك العلم . لكن ابن خلدون لا يعتمد هذه الطريقة مع الكل اذ انه يقول ان ذلك يتوقف على طبيعة المتعلم واستعداده ومقدرته لفهم ذلك الفن . واشار الى التدرج من السهل الى الصعب ، فتعليم الصبي القرآن اولا وحروف الهجاء ومعالم الدين ، ويروى الوجز ثم القصيد ، فاذا ما فرغ من تعلم القرآن وحفظ اصول الفقه وجه الى ما يراد له .(١٦٤)

---

(١٦٣) ابن خلدون ، تاريخ العلامة ابن خلدون ، ص : ١٠٠٢ - ١٠٠٣

(١٦٤) احمد الحوفي ، مع ابن خلدون ، ص : ٧١

وراعى الفارابي هذا الاستعداد ايضا في قوله : "من المتعلمين من لهم طبائع رديئة ، يقصدون تعلم العلوم ليستعملوها في الشرور ، فينبغي للمرء ان يحملهم على تهذيب الاخلاق ، ولا يعلمهم شيئا من العلوم التي اذا عرفوها استعملوها فيما يجب ... ومنهم البلداء الذين لا يرجى ذكاؤهم وبراعتهم فينبغي ان يحثهم على ما هو اعود عليهم . ومنهم ذوو الاخلاق الظاهرة والطبائع الجيدة ، فيجب ان لا يدخر المعلم عنهم شيئا مما عندهم من العلوم ".(١٦٥)

ثم اشار الغزالي الى قدرة المتعلم العقلية بقوله : "من آداب المتعلم ان يبدأ بالاهم والا يخوض في فن حتى يستوفي ما قبله ".(١٦٦)

(٢) قبول العلم والاستعداد لفهمه : يعتبر ابن خلدون ان الاستعداد لفهم العلم ينشأ تدريجيا ، وبما ان المتعلم يكون في اول الامر عاجزا عن الفهم دفعة واحدة ، فالتعليم يجب ان يكون شيئا فشيئا بواسطة التقريب والاجمال والامثال الحسية . ثم يؤخذ المتعلم بعدها تدريجيا . ويعاد عليه الفن وينتقل المعلم من التقريب الى الاستيعاب حتى تتم الملكة للمتعلم في الاستعداد ثم في التحصيل لكي يستطيع الاحاطة بمسائل الفن . واما اذا القيت عليه المواد دفعة واحدة وهو غير مستعد لها يعجز عن الفهم ولا يستطيع ذهنه ان يستوعب كل هذا فيعتقد ان هذا من صعوبة العلم نفسه فيكرهه ويتكاسل عنه ويبتعد وذلك لسوء طريقة التعليم التي يتبعها المعلمون.(١٦٧)

---

(١٦٥) الفارابي ، رسالة السياسة ، ص : ٢٩

(١٦٦) احمد الحوفي ، مع ابن خلدون ، ص : ٧٢

(١٦٧) ابن خلدون ، تاريخ العلامة ابن خلدون ، ص : ١٠٠٣

كما اشار ابن خلدون على المعلمين بالاستعانة بالامثلة الحسية في التعليم ، نراه يتفق هنا مع علماء التربية وعلماء النفس الذين يرون ان الحواس هي ابواب العلم ، وان المعقولات كلها تتفرع من المحسوسات والمدركات الحسية ، وان الطفل في سنيه الاولى يحب معرفة كل شيء وذلك بدافع غريزة المعرفة وحب الاستطلاع . فالحواس هي وسيلة الى المعرفة بالاضافة الى انها تعينه على الحفظ والفهم وسرعة التذكر وسهولة التطبيق .

وممن اشار بالتدرج في التعليم من المحسوس الى المعقول هم اخوان الصفا ، فقد قالوا في هذا الصدد : "ينبغي لمن يريد النظر في مبادىء الامور المحسوسة ، ليروض بها عقله ، ويقوى على النظر في مبادىء الامور المعقولة ، لان معرفة الامور المحسوسة اقرب من فهم المبتدئين ، واسهل على المتعلمين " . وقد طبقوا هذا الرأى في رسائلهم لانهم اكثروا من الامثال والتشبيهات بغية في التوضيح والافهام وتثبيت المعلومات .(١٦٨)

(٣) الكتاب الواحد : يقول ابن خلدون "ينبغي على المعلم ان لا يرغم التلميذ عن فهم كتابه الذى تعلمه بحسب مقدرته وطاقته ونسبة قابليته للتعليم ويجب ايضا ان لا يخلط مسائل الكتاب الواحد بالاخر الا حتى ان تصبح للمتعلم في هذا العلم ملكة وبذلك يستطيع ان يقبل غيرها ، ويكون اكثر استعدادا ونشاطا . لكنه "اذا خلط عليه الامر عجز عن الفهم وادركه الكلال وانطمس فكره ويئس من التحصيل ، وهجر العلم والتعليم ..(١٦٩)

---

(١٦٨) خير الدين الزركلي ، رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، ص : ٣٣٥

(١٦٩) ابن خلدون ، تاريخ العلامة ابن خلدون ، ص : ١٠٠٤

(٤) علم واحد : يقول ابن خلدون " يجب ان لا يخلط على المتعلم علمان معا ، فانه حينئذ قل ان يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما الى تفهم الاخر ، فيستغلقان معا ويستصعبان ، ويعود منها بالخيبة ، واذا تفرغ الفكر لتعلم ما هو بسبيله مقتصرا عليه ، فربما كان ذلك اجدر بتحصيله ".(١٧٠)

يتبين مما سبق ان ابن خلدون يحتم على المعلم ان يلتزم علما واحدا لا يتجاوز حدوده مع العلم ان العلوم تتداخل وتتعاون . وفي بعض الاحيان يتعذر تفهم موضوع من المواضيع دون ربطه بعلم اخر يعيننا على فهمه . ذلك ان كثيرا من الحقائق متصل بعضها ببعض اتصالا وثيقا بحيث لا يمكن تدريس العلم منعزلا . فنحن نرى انه لا يمكن تدريس التاريخ منعزلا عن الجغرافيا والاقتصاد والاجتماع لان هذه تساعد الطالب على الفهم بسرعة وعلى ايجاد العلاقات والارتباطات بين العلوم وهي بهذه الطريقة اسرع الى الحفظ والذاكرة . ثم ان الخروج بالمتعلم من علم الى آخر يسليه ويجدد نشاطه وقواه ، ويفسح مداركه وآفاقه ، ويحبب الدرس اليه .

"على ان بعض المربين المحدثين راى ان تركز العلوم حول علم واحد ، مؤسسين رايهم على نظرية هربارت الالماني في العقل ، فاتخذ بعضهم الجغرافيا اساسا ، وتخير بعضهم التاريخ محورا ، واقام الامريكيون التاريخ قاعدة ، وابتكر بعض المحدثين طريقة المشروع ، وما ذلك الا لربط المعارف والتمشي مع العقل في ادراكه ".(١٧١)

---

(١٧٠) ابن خلدون ، م . س . ص : ١٠٠٥

(١٧١) احمد الحوفي ، مع ابن خلدون ، ص : ٨١

(٥) مدة التعليم : يقول ابن خلدون يجب ان لا تطول مدة التعليم في موضوع من المواضيع ويجب ان لا تتباعد مداتها لان اتباع ذلك يورد النسيان ويحصل انقطاع بين مسائل الفن الواحد ويصبح الحصول على الملكة صعبا لتفريق المواد واتساع الوقت بينها . ولربط المواضيع بعضها في بعض وحصول انسجام بين اجزائها يمكن الحصول على الملكة بسهولة وسرعة خصوصا اذا اتيح في ذلك مجالا للتكرار والتتابع .

هذه هي القواعد الاساسية التي وضعها ابن خلدون في فصل "تعليم العلوم" وهو اهم ما جاء عند ابن خلدون في التربية والتعليم ، غير انه اضاف شيئين الى جانب ذلك لهما اثرهما في الطالب من الناحية التعليمية والاخلاقية وهذين الشيئين هما استعمال الشدة او القصاص والرحلة في طلب العلم .

استعمال الشدة في التعليم :-

في الفصل المعنون "في ان الشدة على المتعلمين مضرة بهم" يعلل ابن خلدون ذلك بقوله : "ان ارهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم سيما في اصاغر الولد لانه من سوء الملكة ، ومن كان مربا ه بالعسف والقهر من المتعلمين او المماليك او الخدم سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ودعاه الى الكسل وحمله على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الايدى بالقهر عليه ، وعلمه المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقا ، وفسدت معاني الانسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله وصار عيالا على غيره في ذلك ، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت عن

غايتهـا ومـدى انسـانيتهـا فارتكـس وعـاد في اسـفل السافليـن ".(١٧٢)

يسـتطرد ابـن خلـدون فيقـول بانـه ينبغـي على المعلـم وعلـى الوالـد ان لا يسـتبدا فـي تاديـب الولـد . فهـو بذلك لا ينفـي اسـتعمال القصـاص ، انمـا يقـول بوجـوب اسـتعمالـه بلباقـة وعـدم اسـتبداد : "لا ينبغي لمؤدب الصبيـان ان يـزيـد في ضربهـم اذا احتاجـوا على ثلا ثـة اسـواط شـيئا ".

وفـي موضـع اخـر يقـول ان علـى المعلـم ان يعـرف تلميـذه الاخبـار المهمـة والاشـعار والسـنن ، وان يجعلـه يبصـر الامـور بـدقـة وجـدة . ويجب ان لا تمـر لحظـة من اللحظـات الا وان يجعلهـا مفيـدة للطالـب وذلك باسـتعمال اللين دون ان يحشـو ذهنـه بمختلـف الاشـياء التافهة . كمـا انـه يجب على المعلـم اسـتعمال الرفـق في التانيـب والملاينـة وانشـاء العلاقـات الوديـة بينـه وبيـن التلميـذ لاحـراز الثقـة الواجبـة بينهمـا . لكنـه اذا بـدا للمعلـم ان الامعـان باسـتعمال هذه الطريقـة مضـرة بالطالب وان المسـامحة تؤدى بـه الى سـوء التصـرف والاخـلاق فيتعـود الاتكاليـة والكسـل وبالفهـا ، عندهـا يجب اسـتعمال القصـاص معـه اذا فشـلت كل مسـاعي المعلـم بالتقـرب والملا ينـة .(١٧٣)

يتبيـن لنـا مما سـبق ان ابـن خلـدون اراد ان يشـير الـى ان الاسـراف في اسـتعمال الشـدة سـواء من الوالديـن والاسـاتذة يؤذى قـوة الطفـل المعنـويـة والعقليـة . واذا كان الانسـان بطبيعتـه ميـالا الى تلقـي صنـوف التربيـة ، فيجب اسـتغلال هذا الميـل في تعليـم الطفـل مختلف العلـوم والفنـون التي يحتـاج اليهـا . ان اسـتعمال الشـدة تجعـله : -

---

(١٧٢) ابـن خلـدون ، تاريـخ العلامـة ابـن خـلدون ، ص : ١٠١٥

(١٧٣) م . ن . ص : ١٠١٦

١. يبغض والديه واساتذته وموضوع درسه ويحمل بصدره الحقد من جراء ذلك .

٢. يلجاء الى استعمال الحيلة والنفاق والكذب ليتخلص من هذه الشدة .

٣. يكون اذهانا ضيقة جاهلة وارواحا خاضعة ذليلة .

٤. يفسد معاني الانسانية كالفضائل والخلق الجميل .

هذه هي اهم المساوىء المسببة من استعمال الشدة في تربية الصغار . وابن خلدون باعطائه هذه الارشادات في معاملة الطفل او الولد لم ينس ان ينبه المعلم الى تهذيب اخلاق الطلاب اثناء تعليمهم ، فهو يوصي المعلم ان يمنع الطالب من الضحك الا في اوقاته . ثم يوصيهم بتعليم الصغار احترام الناس وتقديرهم فهو بذلك ينتحي ناحية تربوية اخلاقية مهمة .

الرحلة في طلب العلم :-

يرى ابن خلدون ان "الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم" ويقول في هذا الفصل "ان البشر ياخذون معارفهم واخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما والقاء ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة ، الا ان حصول الملكة من المباشرة والتلقين اشد استحكاما واقوى رسوخا".

ثم يستطرد قائلا بان اختلاف طرق التعليم واختلاف المعلمين يوسع افاق المعرفة عند الطالب . "فلقاء اهل العلوم ، وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات لما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم انها انماء تعليم وطرق توصيل ، وتنهض قواه الى الرسوخ

والاستحكام في الملكات ويصحح معارفه ويميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم (١٧٤).

يلاحظ ان ابن خلدون - في هذه الفقرات - يقرن المعارف والمذاهب بالاخلاق والفضائل ، ويقرر ان البشر ياخذون ذلك تارة علما وتعلما والقاء - يعني عن طريق الفكر ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة - يعني عن طريق الفعل ، وانه ينظر بهذه الصورة الى التربية والتعليم نظرة شاملة جدا . نظرة تشمل العلوم والاخلاق ، وتتناول طرق اكتسابها من التعليم الى التلقين والمباشرة والممارسة . (١٧٥)

لقد كانت الرحلة في طلب العلم سنة شائعة بين المسلمين ، فكان كثير من طلاب العلوم يجوبون ربوع العالم ، ويلقون شيوخهم غير ابهين بالصعوبات والمتاعب وبالنفقات والاخطار . ومما كان يزيد في مجد الشيخ ان يقصده الطلاب من بلاد بعيدة . فمن اوصاف الشيخ المحببة "عالم رحلة" اى يدخل اليه الطلاب . ولا يزال الطلاب الى الان يغادرون اوطانهم رغبة في طلب العلم والاستزادة منه ، لان كثرة الاساتذة وتنوع الثقافات يكفل لهؤلاء الطلاب ثقافة اوسع واعمق لتنوعها وتشعبها .

ان النقاط الاساسية التي اشرنا اليها في بحثنا عن التربية والتعليم تتلخص فيما يلي :

١. ان المبادئ الاساسية التي استند اليها ابن خلدون في تقرير قواعد التعليم والملاحظات الجوهرية التي يبني عليها القواعد المذكورة هي :

---

(١٧٤) ابن خلدون ، ع . س . ص : ١٠١٧

(١٧٥) ساطع الحصرى ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٤٠

أ- ان الاستعدادات لقبول العلم وفهمه تنشاء تدريجيا . ويكون المتعلم في اول الامر عاجزا عن الفهم بالجملة ، الا في الاقل ، وعلى سبيل التقريب والاجمال والامثال الحسية .

ب - ان المتعلم اذا حصل على ملكة ما في علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقي ، وحصل له نشاط في طلب المزيد والنهوض الى ما فوق ، حتى يستولي على غايات العلم .

ج - اذا عجز الطالب على فهم ما يلقي عليه في بادىء الامر ، من جراء سوء ترتيب المباحث ، حسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه . فكل ذهنه عنها وتكاسل عن العلم ، واعرض عن قبوله ، وتمادى في هجرانه .

د - ان الملكات انما تحصل بتتابع الفعل وتكرره ، واذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه .

هـ - ان تقسيم البال بين مسالتين مختلفتين يصعب الفهم . ويعكس ذلك ، ان تفرغ الفكر الى مسالة واحدة ، واقتصاره عليها قبل الانتقال الى غيرها يسهل الفهم والتحصيل .

٢. اما القواعد الاساسية التي يقررها ابن خلدون ، فاولها واهمها هي القاعدة الجامعة التي تقول :

أ - "التدرج مع التكرار والتوسع المتمركز ، مراعاة لعقل المتعلم واستعداده"

ب - ثلاث قواعد عامة :

اولا : على المعلم ان لا يخلط مباحث الكتاب الواحد بكتاب اخر ،

ثانيا : عليه ان لا يطيل الفواصل بين درس ودرس .

ثالثا : الا يدرس الطالب علمين في وقت واحد .

٠٣ ان الشدة على المتعلم تؤدى الى ثلاث نتائج سيئة :

أ- انها تذهب بالنشاط وتدعو الى الكسل

ب - انها تحمل على الكذب والخبث

ج - انها تعلم المكر والخديعة ٠

٠٤ الرحلة في طلب العلم واجبة لانها تجعل المتعلم يحتك باساتذة وباصحاب مذاهب فتكمل فيه صفة العلم ٠

الان وقد استعرضنا اهم النقاط التي تدور عليها فلسفة ابن خلدون التربوية ، يمكن القول بان ابن خلدون لم يكتب آراءه في ذلك الا بخطوط عريضة ، فلم يدخل في تفاصيل دقيقة ، بل ان آراءه جاءت على هيئة اتجاهات عامة اشار باتباعها ، ومبادىء اساسية راى التمسك بها ٠ وآراؤه في التربية مبنية في غالبيتها على مشاهداته الخاصة التي لا بد وان تكون قد كونت لديه نظريات معينة بنى عليها آراءه في التربية ٠ فكونه يربط التربية بركب الحضارة دلالة على شدة ملاحظته وعمق تفكيره ، فان التربية وليدة المجتمع بكل ما فيه من قيم ومن عوامل تؤثر في نواحي الحياة فيه ، وكلما تقدمت الحضارة ارتقت العلوم واساليب التعليم ٠

المراجـــع

المراجـــع العربيـــة

الكتـب : -

١٠ ابـن خلـدون ، عبـد الرحمـن بن محمـد • المقدمـة : تـاريخ العلامـة ابـن خلـدون ، بيروت دار الكتاب اللبنانـي ، ١٩٥٦ •

٢٠ ابـن خلـدون ، عبـد الرحمـن بن محمـد • التعريـف بابـن خلـدون ورحلته غربـا وشـرقـا • القاهرة ، مطبعـة التاليـف والنشر ، ١٩٥١ •

٣٠ ابـن خلـدون ، عبـد الرحمـن بن محمـد • كتـاب العبـر ودیـوان المبتـداء والخبـر في ايـام العـرب والعجـم والبربـر ومن عاصـرهم مـن ذوى السـلطان الاكبـر • القاهرة ، بولاق سـنة ١٣٨٤هـ•

٤٠ امیـن ، مصطفـى • تاريـخ التربيـة ، القاهـرة ، مطبعـة المعارف بشـارع الفجالـة بمصـر ، ١٩٢٥•

٥٠ الاهـوانـي ، احمـد فـؤاد • التربيـة في الاسـلام او التعليـم في رأى القابسـي • القاهرة ، دار احيـاء الكتب العربيـة ، ١٩٥٥•

٦٠ البسـتاني ، بطـرس• دائـرة المعارف • الجزء الاول ،بيـروت ، مطبعـة المعـارف ، ١٩٠٠ •

٧٠ الجـر ، خليـل والفاخورى ، حنـا • تاريـخ الفلسـفة العربيـة • بيـروت ، دار المعارف ، (١٩٥٧ـ١٩٥٨)•

٠٨ جمعة ، محمد لطفي • تاريخ فلاسفة الاسلام في المشرق والمغرب • القاهرة ، مطبعة المعارف ، ١٩٢٧٠

٠٩ حسين ، طه • فلسفة ابن خلدون الاجتماعية • القاهرة ، لجنة التاليف والنشر ، ١٩٢٥٠

١٠ الحصري ، احمد سلطع • دراسات عن مقدمة ابن خلدون • القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٣٠

١١ الحوفي ، احمد محمد • مع ابن خلدون • القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، سنة ١٩٥٢٠

١٢ الزركلي ، خير الدين • رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء • الجزء الثاني ، المطبعة العربية بمصر ، القاهرة ، ١٣٤٧ هـ ، ١٩٢٨ م •

١٣ سليمان ، فتحية حسن • بحث في المذهب التربوي عند ابن خلدون • القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، (لا ت) •

١٤ شلبي ، احمد • تاريخ التربية الاسلامية • بيروت دار الكشاف ، ١٩٥٤٠

١٥ صليبا ، جميل • ابن خلدون • دمشق ، مطبعة ابن زيدون ، ١٩٣٣٠

١٦ طلس ، محمد اسعد • التربية والتعليم في الاسلام • بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٥٧٠

١٧ عنان ، محمد عبدالله • ابن خلدون : حياته وتراثه الفكري • القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٣٠

١٨ غنيمة ، محمد عبد الرحيم • تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى • تطوان ، دار الطباعة المغربية ، ١٩٥٣•

١٩ الفارابي ، ابو نصر محمد بن محمد • رسائل الفارابي ، حيدر اباد الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، (١٣٤٤ - ١٣٦٧) هـ •

٢٠ فروخ ، عمر • عبقرية العرب في العلم والفلسفة • بيروت ، المكتبة العلمية ومطبعتها ، ١٩٥٢•

٢١ قمير ، (الاب) يوحنا • مقدمة ابن خلدون : دراسة ومختارات • بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٤٧•

٢٢ كرو ، ابو القاسم محمد • العرب وابن خلدون • تونس ، مطبعة الترقي ، ١٩٥٦•

٢٣ ملاح ، محمود • دقائق وحقائق في مقدمة ابن خلدون • بغداد ، مكتبة اسعد ، ١٩٥٥•

٢٤ وافي ، علي عبد الواحد • مقدمة ابن خلدون • القاهرة ، لجنة البيان العربي ، ١٩٥٧ •

٢٥ يازجي ، كمال وانطوان كرم • اعلام الفلسفة العربية • بيروت ، لجنة التاليف المدرسي ، ١٩٥٧•

المجلات : -

١• اسكندراني ، احمد • "ابن خلدون " مجلة المجمع العلمي العربي • ج ٩ ، دمشق ، ١٩٢٩•

٠٢ البستاني ، فؤاد افرام ٠ "الجامعة في العالم العربي نشأتها وتطورها" ، الابحاث ٠ ج ٢ ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٥٥٠

٠٣ زريق ، قسطنطين ٠ "درس جديد لابن خلدون" ، الكلية ، ج ١٨ ، بيروت ، ١٩٣٩٠

٠٤ علي ، محمد كرد علي ٠ "العلم في الاندلس" مجلة المجمع العلمي العربي ، ج ٤ ، ١٩٢٧٠

٠٥ عياد ، كامل ٠ "ابن خلدون موسس علم العمران" الحديث ، ج ٧ ، حلب ، ١٩٣٣٠

٠٦ مهتدى ، شكرى ٠ "عبد الرحمن ابن خلدون" ، المقتطف ، ج ٧١ ، القاهرة ، ١٩٢٧٠

٠٧ هلال ، امين ٠ "الفكرة الاسلامية وراء نظرية ابن خلدون السياسية" ، الحديث ، ج ٨ ، حلب ، ١٩٣٤٠

٠٨ وجدى ، محمد فريد ٠ "ابن خلدون في الميزان" ، الهلال ، ج ٤٠ ، القاهرة ، ١٩٣٢٠

المصادر الانكليزية

1. An Arab Philosophy of History; selections from the Prolegomenon - of Ibn Khaldun. Trans. by Charles Issawi, London, 1950.

2. Fischel, W.J., Ibn Khaldun's Activities in Mameluk Egypt, Sametic and Oriental Studies University of California, Press, 1951.

3. Ibn Khaldun and Tamerlane; selected & translated by Walter J. Fischel. Beckeley & Los Angelos, 1952.

4. Mahdi, Muhsin, Ibn Khaldun's Philosophy of History, London, Goerge Allen & Urwin Ltd. 1955.

5. Monroe, Paul, A text book in the History of Education, N. Y., Macmillan, 1905.

6. Rahman,,F., Prophecy in Islam, London, George Allen & Urwin, Ltd. 1958.

7. Rosenthal, Erwin I.J., Political Thought in Medieval Islam, London, Cambridge University Press, 1958.